التعددية الدينية من منظور فلسفي

أ.م.د. إحسان علي عبد الأمير الحيدري
جامعة بغداد / كلية الآداب

Religious Pluralism from a philosophical perspective

Ehsan Ali Abdul-Ameer AL-Haidari
Philosophy of Religion and Ethics
University of Baghdad / College of Arts
E: ehsan69ali@mail.com

ملخص البحث

سنتناول في هذا البحث مسألة التعددية الدينية من وجهة نظر فلسفية، وليس من وجهة نظر دينية، من خلال تسليط الضوء على الطروحات التي قدمها المنادون بالتعددية الدينية بشكل مُحايد وموضوعي، وبعيداً عن النظرة الذاتية التي قد تكون متأثرة بالانتماء العقائدي، والتعرف على أسباب نشوئها، والمرتكزات التي تستند إليها، وما الغاية من طرحها، كذلك سنحاول في هذا البحث التطرق إلى أهم شخصيتين تناولت مسألة التعددية الدينية، عن طريق الاطلاع على رؤاهم التي طرحوها في مؤلفاتهم، والمتعلقة بالتعددية الدينية.

Abstract

In this research we will deal with the religious pluralism from a philosophical point of view, not from a religious standpoint, By focusing on the propositions presented by advocates of religious pluralism in a neutral and objective manner and away from the intransigence of subjectivity that may be influenced by ideological affiliation, and identify the reasons for its emergence, the foundations on which it is based, and the purpose of proposing it, We will also try in this research, to address the most two important personalities who dealt with the issue of religious pluralism, by looking at their visions that they presented in their books related to religious pluralism

المقدمة:

يُعد موضوع التعددية الدينية مبحثاً مُهماً من مباحث فلسفة الدين، جرت بشأنه نقاشات عديدة من لدُن فلاسفة ورجال دين، ومن يطّلع عليها سيجد تضارباً في الكلام بين طرح وآخر، فمنهم من يصفها بالدواء الناجع لما نعانيه اليوم من صراعات ونزاعات دينيةً ومذهبية، ولا سيما في بلداننا الإسلامية، ومنهم على النقيض من ذلك، نجده يصفها بالمؤامرة الغربية التي تستهدف محو الدين وإذابته في مستنقع العلمانية، وبين هذا وذاك ولأهمية الموضوع؛ قررت الكتابة عن حقيقة التعددية الدينية بحيادية وموضوعية من دون التحيز إلى طرف معين، وإنما العمل على تسليط الضوء على ذلك المبحث من خلال الطروحات الفكرية من دون الولوج في خضم الكتابات المحسوبة على أية جهة دينية، سواء المسيحية أو الإسلامية أو غيرها على الرغم من توفرها؛ لكوننا نعمل على سبر غور ذلك المبحث من وجهة نظر فلسفية وليست دينية.

إن من ينظر حوله في هذه الدنيا سيجد أن كل شيء من حوله يشير إلى التنوع والتكثر والتعدد باستثناء الإله المعبود، فإنه يمتاز بالوحدانية على الرغم من اختلاف التسميات، وتعدد وجهات النظر نحو ماهيّته، إلا أن الجميع في قرارة نفسه يتوجه إلى تلك القوة الكونية الخفيّة التي تحكم هذا العالم وتؤثر فيه، سواء أكانت ممثلةً بإله متعالٍ مُفارق للعالم أو بإله مُحايث مُباطن لكل شيء، وسواء تم التعبير عنه بالإله الواحد الأحد أو بثلاثة أقانيم، فالجميع مُجمعٌ على وجود خالق لهذا الكون بشكل عام، حتى وإن خلت نصوص بعض الديانات من التحدث عنه؛ لذلك من ينظر بنظرة موضوعية، سيجد إمكانية الوصول إلى إيجاد مشترك للديانات السماوية والوضعية، ومن تكون نظرته ذاتية، سيجد أن طائفته الدينية التي ينتمي إليها هي الوحيدة التي تمتلك الحقيقة عن ماهيّة ذلك المعبود، والآخرين على خطأ في تعريفهم له، وعند هذه النقطة تبدأ تفصيلات الاختلافات الدينية بين الديانات وبين مذاهب الديانة الواحدة.

إن موضوع الحقيقة أو الحقّانيّة أو الأحقّيّة تمثل إحدى نقاط الاختلاف الجوهرية بين الطوائف الدينية، وعلى أثر ذلك ظهرت مسألة الخلاص أو النجاة أو التحرر، فالديانة التي تعتقد أنها الوحيدة التي تمتلك الحقيقة، ستظن في الوقت نفسه أنها الوحيدة التي ستحصل على السعادة الأبدية في الحياة الآخرة، وبذلك سوف تنجو من مسألة العقاب الإلهي، ومن يتمعّن في كتب العقائد لأية ديانة كانت، سيعثر على جدل وتنظير واسع بشأن تِلكُم المسألتين، وأنهما تأخذان حيزاً واسعاً من عقيدة تلك الديانة، ونشأت مباحث عقدية خاصة بتِلكُم المسألتين، وكل ديانة تحاول جاهدة إثبات أنها من تمتلك الحقيقة، وأن النجاة والخلاص لا يكون إلا عن طريق الانتماء إليها، وسبب الحروب الدينية والنزاعات المذهبية كان قد تركّز على هاتين المسألتين، فكل طرف ينظر إلى الطرف الآخر أنه على خطأ، وأن مصيره الجحيم، وأن وجوده يقوّض من وجوده هو، وأن من حقه اجتثاث وجوده؛ طالما هو من يمتلك الحقّانيّة والآخر على باطل، وأن مصيره الجنة والآخر الجحيم.

بناءً على ما تقدم سأحاول في هذه الصفحات المعدودة، إلقاء نظرة مُتفحّصة على موضوع التعددية الدينية، من حيث التعرف على مفهومها أولاً، ثم التطرق إلى مراحل نشوئها، وبعدها التعرف على أنواعها وأهدافها، مع إيراد المباني التي تستند إليها، وبعد ذلك التعرف على أهم شخصيتين في مجال التعددية الدينية، الأولى تمثلت بشخصية الفيلسوف الإنكليزي جون هيك[1]، الذي يُعد المؤسس الحقيقي للتعددية الدينية في الوقت المعاصر، والثانية متمثلة بالمفكر الإيراني عبد الكريم سروش[2]، الذي عمل على توضيح نظرية التعددية الدينية بشكل مُسهب من خلال مؤلفاته العديدة.

مفهوم التعددية الدينية:

قبل التطرق إلى مفهوم التعددية الدينية، علينا أولاً التعرف على مفهوم التعددية، وبعدها ننتقل لتسليط الضوء على مفهوم التعددية الدينية.

التعددية تُشير إلى المذهب الذي يُعبّر عن التعدد والكثرة، وقد كان يُطلق في بداية نشوئه على الشخص الذي يتولى عدة مناصب في الكنيسة، وبمرور الزمن بدأ يتخذ إطاراً فلسفياً؛ فصار التعددي هو الشخص الذي يُرحب بالتعدد والكثرة في المجالات الفكرية والثقافية وغيرها[3]، والتعددية كذلك تُعبّر عن تنظيمٍ لحياة المجتمع على وفق قواعد عامة مشتركة، تحترم وجود الاختلاف والتنوع في اتجاهات السكان ضمن المجتمعات ذات الأطر الواسعة، ولا سيما المجتمعات الحديثة، إذ تختلط الاتجاهات الفلسفية والفكرية والدينية[4].

إن مفهوم التعددية له دلالات متنوعة بحسب المجال الذي تبحث فيه، فمثلاً في مجال الأخلاق نجد أن التعددية تمثل لوناً من النسبية ورفض الثبات والإطلاق في القيم والمعايير الأخلاقية، أما في مجال السياسة فنجد اقتراناً بين مفهوم التعددية ومفهوم الليبرالية، والبعض يعُدّ أن التعددية السياسية واحدة من إفرازات الفكر الليبرالي، أما بخصوص مفهوم التعددية الدينية فقد شاع بالآونة الأخيرة، وهو يمثل مبحثاً من مباحث فلسفة الدين[5].

والتعددية كذلك تمثل الاعتراف بالكثرة والتنوع والإقرار بوجود تباين يرفض الاختزال والمقارنة بين الديانات والثقافات والتجارب البشرية واللغات، والنظر إلى عالم الإنسان بوصفه روضةً غنّاء مليئةً بالأزاهير والعطور والألوان، وهي تمثل واحدة من نتاجات المرحلة الراهنة، وترتبط بمجالين يمكن أن يكتسبا صبغتها هما، المجال الديني الثقافي، والمجال الاجتماعي، فهناك تديّن تعددي، كما يوجد مجتمع تعددي، وهما مرتبطان مع بعض، إذ لا يمكن لأنصار التعددية الدينية الثقافية الانسلاخ من التعددية الاجتماعية[6].

ولم تتحدد التعددية بالإطار الفلسفي المعرفي، بل تجاوزته لتظهر كاتجاه في التفكير الإنساني، له تمظهراته في مناحي الحياة المختلفة، ولم يقتصر على الطابع النظري، بل تعداه ليصبح نمطاً في الفكر والممارسة، وأصبحت التعددية اليوم تُطلق في المجال الفكري والثقافي، ومجالات أخرى التي تكون بحاجة إلى الاعتراف برؤى واتجاهات متنوعة، ومن ثَمَ برزت التعددية الدينية، والتعددية الاجتماعية، والتعددية السياسية، وغيرها كثير، ولو أخذنا مثالاً على التعددية ولتكن السياسية مثلاً، سنجدها متمثلة بالائتلافات الحزبية في أثناء الانتخابات التي تتشكّل على وفقها حكومات متنوعة من أطياف مختلفة، قد تختلف فيما بينها في الرؤى والأفكار، لكنها تعترف بعضها بالبعض الآخر، ومن ثَمَّ سنجد أن

التعددية السياسية يُعد مفهوماً ليبرالياً ينظر إلى النسيج المجتمعي بوصفه مؤلفاً من روابط سياسية وغير سياسية متنوعة، تمتلك مصالح مشروعة مختلفة، وأن غاية هذا التعدد هو الحيلولة دون تمركز الحكم في يد فئة واحدة، ويعمل على تحقيق المشاركة، وتوزيع المنافع بين الأطراف المؤتلفة[7].

إذن فالتعددية تمثل تنوعاً مؤسساً على التميّز والخصوصية؛ لذا لا يمكن أن تكون موجودة أو متصورة إلا في قبالة الوحدة، إنها القانون الإلهي في ميادين الكون المادي والاجتماع البشري، وتتميز الوحدانية بذات الحق، كما تختص التعددية بكل ظواهر الخلق، والشرائع المتعددة ــ بحسب رؤية البعض ــ لا تكون إلا ضمن إطار الدين الواحد، والحضارات المتعددة لا تكون إلا في إطار المشترك الإنساني العام الذي يتميز عن الخصوصيات الحضارية، والإنسانية قد بدأت مع آدم وحواء كأمة واحدة في الدين والشريعة، ومن ثم تحولت إلى أمم من خلال تعدد الرسالات؛ فكانت بذلك التعددية سُنّة منذ فجر تاريخ البشرية، وأن التنوع البشري جاء نتيجة حكمة إلهية، ويمثل حافزاً للفرق المختلفة على التنافس والتميز؛ فلذلك نجد أفكاراً وحضارات انبثقت نتيجة هذا التنافس فيما بينها، ولو لا هذا التنافس لكانت الحياة جامدة؛ ومن ثَمَّ فإن الإيمان بالتميز والتنوع يمثل حافزاً على الإبداع في ميادين الارتقاء والتقدم[8].

الآن ننتقل للتعرف عن كثب فيما توافر لدينا من معلومات بصدد مفهوم التعددية الدينية.

يُعد مصطلح التعددية الدينية من المصطلحات التي لم يتم العثور على أصل لغوي لها، وقد تم اقتباسه من الفكر الغربي من خلال ترجمة مصطلح "Pluralism Religious"، الذي يشتمل على خاصية أساسية تتمثل بالحرص على التطبيق الحي للمواطنة في صورها الكبرى؛ لكون هذه الخاصية في حد ذاتها تشتمل على مسألتين، الأولى هي الاعتراف بتعددية المعتقدات الدينية داخل البلد الواحد من دون صراع ديني، والثانية هي التعايش السلمي بين أصحاب تلك المعتقدات؛ ومن ثَمَّ تمثل الاعتراف الرسمي بالتعدد والتنوع في الثقافات واللغات والديانات والتجارب البشرية[9].

ومن خلال تقليبنا لصفحات الكتب والبحوث المعنية بموضوع التعددية الدينية عثرنا على معان عدة للتعددية، منها على سبيل المثال[10]:

1. تأتي بمعنى التعايش السلمي والتسامح الديني من خلال الإقلاع عن التفكير في مسألة إلغاء الآخر، فمن الممكن عدّ نفسك على حق والآخر على باطل من الناحية النظرية، لكن من الناحية العملية عليك الانسجام مع الآخر، ومن يستعمل هذا المعنى للتعبير عن التعددية الدينية يرى أن على الناس أن يتقبل بعضهم الآخر، وأن لا يفرض أحدٌ ديانته على الآخر؛ لأن كل فرد منهم يعتقد أن معتقده الديني هو الصحيح؛ وإلا سينشب صراع ونزاع بينهم، وباتباع هذا الرأي سيتحقق السلم المجتمعي، وعلى الجميع أن يعي أن التعدد أمر واقعي ولا مفر منه، ونحن جميعاً شركاء في هذه الحياة، ومن أراد أن يُثبت أحقيّة الديانة التي يؤمن بها؛ فعليه إثبات ذلك عن طريق البرهان، وليس عن طريق الفرض والإكراه.

2. تأتي بمعنى وجود تعددية في مظاهر الدين الواحد، فجميع الديانات تمثل مظاهر متنوعة لحقيقة واحدة، والاختلاف فيما بينها لا يكمن في جوهر الدين، بل في فهم الدين، وأن سبب الاختلاف هذا راجع إلى المرجعية الثقافية الخاصة التي تُسهم في تشكيل الفهم الديني، أما الحقيقة المحضة فلا يمتلكها أحد، وليس من حق أحد أن ينتقص من الآخر نتيجة اختلافه معه في مسألة فهمه للدين.

3. تأتي بمعنى وجود تعددية في حقيقة الدين نفسه، إذ لا توجد حقيقة واحدة، إنما مجموعة متكثرة من الحقائق، وجميعها على صواب، حتى وإن وجد تناقض فيما بينها، وأن تعدد الحقيقة تعني انبساط الحقيقة في جميع الديانات، وعدم انحصارها في ديانة واحدة، ومن يتبنى هذا المعنى يُصرّح بوجود الحقّانيّة في جميع الديانات بنسب معينة، وهي غير محصورة بالمطلق في ديانة معينة، ومن ثَمَّ ففي كل ديانة توجد مساحات للصواب وأخرى للخطأ، والخطأ ناشئ عن التحريف والبدع التي دخلت إلى تلك الديانة بمرور الزمن، ويُصرح من يتبنى هذا المعنى بأن الديانات تشتمل على مجموعة من القيم الأخلاقية المشتركة فيما بينها، فضلاً عن بعض المعتقدات المشتركة، فنجد مثلاً أن الجميع يتحدث عن الحقيقة المطلقة، لكن التعبير عنها يختلف من ديانة لأخرى، وفي قبالة هذا الرأي هو الرأي القائل بالانحصارية، الذي يُصرح بأن الحقّانيّة محصورة في ديانة واحدة، بل في مذهب واحد دون غيره من الديانات والمذاهب، ويعتقد أن مصير بقية الفرق والطوائف الدينية إلى الجحيم.

4. تأتي بمعنى الاعتراف المعرفي، فضلاً عن الاعتراف الأخلاقي والاجتماعي بجميع الديانات، وإعطاء المعذورية للمؤمنين بتلك الديانات المختلفة وإمكانية الخلاص في الآخرة، وأصحاب هذا الرأي لا يعتقدون بانبساط الحقيقة في جميع الديانات، ومع ذلك لهم رأي في مسألة انحصار الحقيقة في ديانة واحدة، إذ يرون أن المخالفين وإنْ كانوا لم يؤمنوا بالحق؛ فإنهم غير معاندين في الوقت نفسه، فقد يكون عدم إيمانهم بالحق لعدم وصوله إليهم؛ لذلك فلن يدخلهم الله في النار، لكن في حال أن فرصة وصول الحق قد وصلت إلى بعضهم وعاند في اتباعه؛ فعندها يكونون مستحقي العذاب، ومن ثَمَّ فإن غالبية البشر سيكونون معذورين لعدم وصول الحق إليهم أو عدم اتضاحه لهم؛ وبذلك سيكون النجاة من نصيبهم إن كانت أعمالهم صالحة.

هناك من يرى وجود تلازم بين التعددية الدينية والتعددية الاجتماعية، فالدين بحسب تلك الرؤية ليس شيئاً مُضافاً إلى المجتمع، إنما يمثل مكوناً من مكوناته ومؤسسة من مؤسساته التاريخية، والبعد الغيبي في الدين لا يعني وقفيّة حقائقه وتعاليه واحتجابه عن الواقع البشري، إذ كان الدين أغلب الأحيان في حالة تمظهر وتكيّف واندماج ضمن الأطر الاجتماعية ونظم التعبير اللغوي والرمزي والبنى الثقافية، ما يعني أن الدين لا يتحدد بتراث النبي المؤسس أو بنص الوحي الذي نتلقاه بصفتنا مؤمنين بهيبة وإجلال، فهو حصيلة التمأسس التاريخية للدعوة الدينية التي تحدث بعد رحيل المؤسس، إذ نجد أن الدين انتقل من حالة الوعي الوجداني والالتزام العفوي بتعاليم المؤسس إلى حالة منظمة ومعقلنة

للوعي، تشتمل على مجموعة عقائد مشتركة ومبادئ تشريعية وممارسات تعبدية جامعة، وتحتوي على أُطر في تنظيم العلاقة بين المؤمنين[11].
ويرى آخرون أن التعددية الدينية تختلف عن إطار التعددية الاجتماعية والسياسية، وهي تختلف عن مفهوم إمكانية التعايش السلمي مع الآخر وقبوله من الناحية العملية؛ لأن هذا يندرج في إطار البحث السياسي الاجتماعي، في حين أن التعددية الدينية تندرج ضمن مجال فلسفة الدين، ويمكن لنظرية التعددية الدينية توفير الغطاء الفلسفي والديني لمسألة التعايش السلمي مع الآخر، وعلى الرغم من وجود صلة بين الموضوعين المذكورين، إلا أن لكل منهما مجال خاص به يختلف عن الآخر[12].

مراحل نشوء التعددية الدينية:

كانت بدايات نشوء مفهوم التعددية الدينية في أوربا إبّان عصر الإصلاح الديني حينما بدأت معالم التفكير العقلاني بالظهور لكي تتجاوز تلك الصراعات المبنية على الخلافات الدينية، فنشأت مفاهيم مثل "النزعة الإنسانية" و"حقوق الإنسان" و"التسامح" في محاولة لوضع أساس نظري في العقيدة المسيحية للتسامح مع بقية الديانات، كذلك التسامح فيما بين الطوائف المسيحية التي بقيت سنين طويلة في صراع ديني مُسلحّ ما بين الكاثوليك والأرثوذكس، وبعدها بين الكاثوليك والبروتستانت، خلّفت أكثر من خمسة ملايين قتيلاً وتدمير مدن بأكملها، ولم تتوقف تلك الحروب الدامية إلا بعد توقيع اتفاقية وستفاليا للسلام سنة 1648م، ومن بين أبرز بنود تلك الاتفاقية هو الاعتراف بحرية المعتقد والعبادة[13].

إن من يقرأ تاريخ الصراعات الدينية بين الديانات التوحيدية الكبرى أمثال اليهودية والمسيحية والإسلام، سيجد أن رجالاتها يُركّزون على الجدل اللاهوتي، ويهملون التمايزات التاريخانية على الرغم من دورها الواضح في مسألة عدم التسامح، فنجد مثلاً فكرة "الاختيار الإلهي" موجودة في تلك الديانات، فمثلاً في اليهودية نجد مقولة "شعب الله المختار"، وفي المسيحية نجد مقولة "أن الإله قد تجسّد في شخص ابنه المسيح لخلاص البشرية"، وفي الإسلام نجد مقولة "خير أُمةٍ أُخرجت للناس"، وهذه المقولات عادةً ما يتم استعمالها في مسألة الصراعات الدينية، وقد أسلفنا أن المجتمع الأوربي قد أنهكته الحروب الدينية فبدأت عندها بوادر ظهور التعددية الدينية في عصر الإصلاح الديني التي انطلقت من وضع أساس نظري للتسامح في العقيدة المسيحية تجاه الديانات الأخرى، وكانت هذه إحدى العناصر الرئيسة في حركة التجديد الدينية أو ما تسمى بـ"الليبرالية الدينية" التي انبثقت في البروتستانتية المسيحية في القرن التاسع عشر الميلادي التي تزعمها آنذاك شلايرماخر[14].[15]

ولم يقتصر الفضل في ظهور بوادر التعددية الدينية في الجانب الغربي من العالم، بل نجد أن تلك البوادر ظهرت أيضاً في الجانب الشرقي منه، من أمثال رام موهن راي[16]، الذي كان في الأساس ينتمي إلى الديانة الهندوسية، ثم توجه إلى الإيمان بالله تعالى نتيجة اطلاعه على الديانة الإسلامية، وطروحاته تشير إلى الإيمان بوحدانية الإله وتساوي جميع الديانات، كذلك الآراء التي طرحها المتصوف سري راماكريشنا[17]، التي تشير إلى أن الآراء المتضادة بين الديانات لا معنى لها، وأن منشأها هو التعبير فقط؛ لأن جميع الديانات

تحاول إيصال الإنسان إلى هدف واحد، ويعتقد أن تحويل الإنسان من معتقد إلى معتقد آخر لا داع له وهو مضيعة للوقت، وكان هذا المتصوف مُعتنقاً للديانة الهندوسية، ثم انتقل إلى الإسلام، ثم المسيحية، ورجع مرة أخرى إلى الهندوسية، ومن أبرز الشخصيات التي مثّلت بوادر الانطلاق نحو التعددية الدينية في الفكر الإسلامي المعاصر هو حسين نصر[18]، الذي طرح رؤيته في قالب سماه "الحكمة الخالدة"، وهو عبارة عن إحياء فكرة الوحدة الماورائية الكامنة في التعاليم الخاصة بالديانات التي عرفها الإنسان من زمن آدم والى اليوم، ويعتقد أن الإيمان بأية ديانة والعمل بمقتضى تلك الشريعة يمثل إيماناً بجميع الديانات، والديانات في نظره متعارضة من حيث الظاهر فقط، غير أن جوهرها واحد[19].
ومن الذين أسهموا في نشوء نظرية التعددية الدينية في القرن العشرين إرنست ترولتش[20]، في مقالة له بعنوان "موقع المسيحية بين الأديان العالمية"، وأوضح من خلالها رؤيته عن التعددية الدينية، وحاول إثبات أن جميع الديانات بما فيها المسيحية تشتمل على عنصر من عناصر الحق ولا تمتلك الحق كله، وتابعه على هذا الأمر وليم هوكينغ[21]، في كتابه "الأديان الحيّة والإيمان العالمي"، إذ توقع فيه ولادة دين عالمي واحد ينسجم مع التوجه نحو حكومة عالمية موحدة، وتلاه أرنولد توينبي[22]، في كتابه "المسيحية بين أديان العالم"، وكتابه "منهج المؤرخ في دراسة الأديان"، وسلك فيهما المسلك الذي سلكه ترولتش في تناوله للتعددية الدينية، وتطورت التعددية الدينية على يد ولفريد كانتويل سميث[23]، إذ قام بتأليف كتاب لهذه المسألة حمل عنوان "نحو نظرية لاهوتية عالمية"، وتناول فيه مناقشة إيجاد نظرية لاهوتية عولمية تكون بمنزلة أساس مشترك للتعايش السلمي بين الديانات، ووصلت نظرية التعددية الدينية إلى كامل نضوجها على يد الفيلسوف الإنكليزي جون هيك، وأضحى مصطلح التعددية الدينية عندها ملاصقاً باسمه[24].

أنواع التعددية الدينية وأهدافها:

تستند التعددية الدينية إلى ثلاثة مدعّيات، في محاولة منها لإعطاء إجابة عقلانية عن السر الكامن وراء التعدد والكثرة في الديانات، وهي على النحو الآتي[25]:

1. التنوع والتكثر والتعدد في المجال الديني يمثل حقيقة قائمة وظاهرة واقعية لا يمكن التغاضي عنها وعن تداعياتها العملية والنظرية.

2. لا يمكن إرجاع التعددية إلى نظام ديني واحد؛ لكونها تمثل تعددية أصيلة وليست اعتبارية، وتقبل الاندماج في بوتقة واحدة كما أشار إلى ذلك بعض العُرفاء، والدعوى هذه ترجع بحسب مضمونها إلى الدعوى السابقة؛ لأن واقعية التكثر والتعدد كأنها تختزن أصالة هذا التعدد، وإلا فيما إذا كان التعدد هذا اعتبارياً فإن مصيره إلى نفي ذاته واقعياً بما للكلمة من معنى، وهذا يؤدي إلى أن وجهة النظر المتقدمة التي تُصرّح بانصهار الديانات في ديانة واحدة وبأن التكثر مظهري هامشي تلغي موضوع البحث عند التعددية أو تقوم بقراءة التعدد في إطار الوحدة من أجل إذابة الافتراض المبني على المباينة، وهي قراءة قد تلتقي مع الغايات العملية للتعددية.

3. بناءً على ما ورد في الفقرتين أعلاه يصبح التعدد مقبولاً عقلاً؛ ومن ثَمَّ يمكن الاعتراف به من باب أصالة التنوع الديني، ما يُمكّن أتباع الديانات المتعددة في الارتباط الديني الذي هم عليه، ووصفهم له أمراً صحيحاً.

وعند الخوض في مسألتي النجاة والحق اللتان تُعدان من أهم المسائل التي على ضوئها انبثقت نظرية التعددية الدينية، نجد ثلاثة فرق تمتلك وجهات نظر مختلفة بشأنهما، وعلى النحو الآتي[26]:

1. الانحصارية: وأصحاب هذا الفريق يعتقدون أن الحقيقة المطلقة تنحصر في ديانة محددة دون سائر الديانات الأخرى، وإن كانوا يعترفون بوجود نصيب من الحقيقة لدى بقية الديانات، لكنها لا تحوز على الحق المطلق؛ لذلك سيكون النجاة والخلاص من نصيب تلك الديانة التي تمتلك الحقيقة المطلقة، مع الاعتراف بوجود إمكانية لنجاة بعض أفراد الديانات الأخرى، لكن بشروط محددة، وهذا هو السائد في كثير من الديانات.

2. الشمولية: أصحاب هذا الفريق يعتقدون أن الحقيقة المطلقة موجودة في الديانة المسيحية، لكنهم مع ذلك يعتقدون بنجاة معتنقي أفراد بقية الديانات وخلاصهم حتى وإن لم يسمعوا بالسيد المسيح ولا يعرفون عنه شيئاً، وهم بهذا الاعتقاد قد شملوا الجميع بالنجاة والخلاص على الرغم من اعتقادهم أن الحقيقة المطلقة منحصرة في الديانة المسيحية.

3. التعددية الدينية: تختلف نظرة أصحاب هذا الفريق عن الفريقين السابقين من خلال تصريحهم بعدم حصر الحقّانيّة المطلقة والنجاة بديانة واحدة فقط، وأن كل ديانة تشتمل على نسبة معينة من الحقيقة، ولا توجد ديانة تمتلك الحقيقة المطلقة، وأن مسألة النجاة ستكون من نصيب جميع أفراد الديانات من باب التكافؤ.

توجد لكل نظرية فكرية يتم طرحها على الساحة الفكرية أهدافاً ترمي الوصول إليها، ومن ضمن أهداف التعددية الدينية الآتي[27]:

1. توفير الحرية الدينية من خلال محاولة التعددية الدينية رسم خارطة للمعرفة الدينية لا تسمح لأي طرف ديني العمل على اكتساب الحق المطلق له وحده من دون الآخرين، ومن ثَمَّ تعمل هذه الآلية على منح الآخر حق الوجود نتيجةً لامتلاكه على خارطة معرفية على غرار الديانات الأخرى.

2. توفير التسامح والتساهل الديني، إذ تعمل التعددية الدينية على تأمين الأرضية الفكرية لذلك، وذلك لأن التعددية تقف على طرفي نقيض من مسألة إلغاء الآخر والجمود الفكري.

3. توفير الحوار الديني بين الديانات السماوية والوضعية، فالتعددية الدينية تؤمن بالحوار الذي يشير إلى أن قول كل طرف من أطراف الديانات المختلفة صحيح يحتمل الخطأ، في قبالة خصمه الذي ينظر إليه من زاوية كونه خطأً، لكنه يحتمل صحته.

4. نفي التعصب والدوغمائية، فالعقل التعددي يمتاز بالانفتاح على الآخر وعدم التمسك بالرأي الواحد، ويعتقد بأن لكل طرف ديني حظه ونصيبه من الحقيقة، ولا يمكن حصر الحقيقة في طرف واحد من دون بقية الأطراف.

5. موضوع الوحدة الإسلامية والتقارب الذي حصل بين المذاهب الإسلامية نتيجة المرونة المتبادلة بين الأطراف المتنوعة في الدين الإسلامي؛ نتيجة إيمانهم بالتعددية المذهبية داخل الدين الواحد.

6. تحاول التعددية الدينية دعم الرؤية الإنسانية من خلال منح المعذورية للآخرين في مسألة اعتقاداتهم الدينية حتى ولو كانت خطأً؛ وهذا يوّلد شعوراً إنسانياً مخالفاً للشعور السائد لدى بعض المتدينين في أن الآخرين مذنبون ومصيرهم النار.

7. تمنح التعددية الدينية فرص الخلاص والنجاة للآخرين، ومن ثَمَّ فهي ترفض احتكار الجنّة لصالح طرف معين، وأن مصير الآخرين سيكون النار.

مباني التعددية الدينية:

تشتمل التعددية الدينية على مجموعة من المباني ندرجها باختصار على النحو الآتي[28]:

1. تعدد الفهم الديني (التعددية التفسيرية): إن النص الديني يمثل كياناً صامتاً؛ لذلك هو بحاجة مستمرة إلى من يعمل على تفسيره وشرحه، والإنسان حينما يروم تقديم تفسير لتلك النصوص الدينية، فبالتأكيد سوف يعتمد على ما يختزنه من معارف، وما يحمله من معدات مفهومية موجودة في ذهنه، وتلك الأمور لم تأتِ من فراغ، بل جاءت من خلال نوافذ معرفية خارجة عن النص الديني؛ ومن ثَمَّ ستختلف تلك المعارف والمعدات المفهومية من شخص لآخر بحسب طبيعة النوافذ المعرفية التي استمد منها تلك المعارف، وبحسب فهمه لها؛ ما يوّلد بالنتيجة اختلافاً في عملية تفسيره للنص الديني بالتأكيد، وعلى أساس ذلك سوف تنبثق مجموعة من المذاهب المختلفة في إطار الدين الواحد نتيجة اختلافها في تفسير النصوص الدينية، ولا سيما إذا أدركنا أن النصوص الدينية الموجودة في القرآن على سبيل المثال حمّالة أوجه بحسب ما أوردته الأحاديث، وهنا نصل إلى وجود تعددية بالفهم الديني نتيجة التعددية التفسيرية للنصوص الدينية؛ ما يغدو أن هذا التعدد أمر طبيعي موجود في جميع الديانات، وعدم التركيز على حصر المعنى الديني للنص في فهم واحد فقط، ويمكن أن يحوز كل رأي على مقدار معين من الحقيقة.

2. شمولية الهداية الإلهية: يعتمد هذا المبنى على اسم "الهادي"، الذي يُعد من أسماء الله الحسنى، إذ نجده يثير تساؤلاً بشأن معناه ومصداقه على أرض الواقع، فلو افترضنا أن إحدى الديانات السماوية مثل اليهودية أو إحدى المذاهب الإسلامية مثل الزيدية مثلاً، سوف تكون هي وحدها الفرقة الناجية، وبقية الديانات والفرق مصيرها النار والخسران، ومن ثَمَّ أين سيكمن تجلّي اسم "الهادي"، وكيف بعدها يمكننا التصديق بالجهود التي بذلها الأنبياء في سبيل تحقيق السعادة والنجاة للبشرية في قبالة فئة صغيرة من الضالين المنحرفين الذين استطاعوا أن يكونوا سبباً في انحراف بقية البشر، فما ذنب تلك المليارات من البشر التي ستمثل بالنتيجة فشل المشروع الإلهي وانتصار الرغبة الشيطانية؛ لذلك ترى التعددية الدينية أنه انطلاقاً من الاعتقاد بالهداية الإلهية وضعف كيد الشيطان يتوجب الاعتراف بشمول الهداية الإلهية بمقدار معين لجميع الديانات، وأن كل ديانة أو مذهب سوف ينال حظه من تلك الهداية الإلهية، وعدم حصر الهداية الإلهية بفئة معينة دون بقية الفئات.

3. الاختلاط والمزاوجة في العالم: ترى التعددية الدينية أن جميع الديانات مرت بمراحل تاريخية تخللتها تدخلات بشرية أسهمت في تغيير الوجه الحقيقي للنصوص الدينية، سواء عن قصد أو من غير قصد نتيجة ظروف مختلفة؛ لذلك نجد صعوبة بالغة في تحديد الحق الخالص عند فئة دينية معينة، وما نعثر عليه عبارة عن مزيج من الحق والباطل، ومن يقرأ التاريخ سيجد ظروفاً قاهرة قد أسهمت في إضفاء بعض اللمسات البشرية على بعض النصوص الدينية، سواء من حيث كتابتها أو من حيث فهمها من باب المرونة لتقبّل تلك الديانة من إحدى الشعوب والأقوام؛ ما أدى إلى تغيير معالم عديدة من النص الديني بمرور الزمن؛ لذلك ترى التعددية الدينية أن التنوع والتكثر لا بد من النظر إليه بطريقة تسمح لنا أن نرى الجميع من ديانات ومذاهب مزيجاً من حق وباطل، لا أن نكتفي بأن نرى ديانة أو مذهب ما على حق، والبقية على باطل.

4. العوامل غير العلمية في مسألة تكوين المعتقد: يتلخص هذا المبنى في أن أغلب المؤمنين بعقيدة ما لم يؤمنوا بتلك العقيدة عن بحثٍ وتقصٍ ودراية، وإنما كان إيمانهم بها نتيجة ظروف بيئية واجتماعية وسياسية، فمن ولد في عائلة مسلمة أصبح مسلماً، ومن ولد في عائلة مسيحية أصبح مسيحياً، وهكذا في بقية الديانات في الغالب الأعم، والقلة القليلة التي تنتمي إلى عقيدة ما نتيجة تحرٍ وتقصٍ وتدبّر، وهذا الأمر لا ينطبق على عامة الناس فقط، بل على كثير من رجالات الديانات، فنجد كثيراً من علماء الدين البارزين سواء في الإسلام أو بقية الديانات لم يكن أساس انتمائهم للعقيدة التي يؤمنون بها ويدافعون عنها في بداية الأمر نتيجة تحريهم عن الحقيقة، بل كان أساس ذلك هو نشأته في بيئة تنتمي إلى تلك الديانة، وترسخت جذورها في فكره، وتشرّب محتواها منذ صغره، إلى أن شبّ عليها، والأمر نفسه ينطبق على من يروم التحري والتقصي عن الحقائق في الديانات الأخرى وهو متأثر بعقيدته التي شبّ عليها، وتكون غايته فقط هو الكشف عن المثالب في العقائد التي تخالف عقيدته؛ لذلك ليس من الصحيح أن تكون رؤيتنا منحصرة في أن الحق مع ما نعتقده نحن والبقية على باطل.

5. تفسير التجربة الدينية: التجربة الدينية تتمثل في لقاء المعبود والمعشوق الأوحد، ولها مصاديق كثيرة، وهنا سيتم تفسير التجربة الدينية تفسيراً ذاتياً؛ لكونها خاضعة لرؤية الشخص وإحساسه بالأمر القدسي، وليس من السهل التعبير عن ذلك بلغة الحياة اليومية؛ لذلك سنجد اختلافاً شاسعاً في التعبير عن كل حالة يمر بها المؤمن عند خوضه غمار التجربة الدينية من خلال استعماله لمصطلحات قد تكون بعيدة عن واقع الحال؛ لذلك نجد في قراءتنا للتجارب الدينية التي يمر بها العُرفاء والمؤمنون بديانة معينة متعددة بشكل كبير، ومختلفة من شخص لآخر بحسب طبيعة التجربة، وبحسب فهم الخاضع لتلك التجربة وتعبيره عنها، وبحسب ما يمتلكه من معدات مفهومية ومخزونات معرفية، لذلك نجد على سبيل المثال تعبيرات متنوعة تُطلق على الإله من حيث كونه متعالياً مُفارقاً عند البعض أو مُحايثاً مُباطناً عند البعض الآخر، وكلا المقصودين واحد، وهكذا تسير بقية المسائل الدينية؛ لذا ليس من الصحيح تكفير الآخرين إن اختلفوا معنا في التعبير؛ فلربما تكون غايتنا وغايتهم واحدة، لكن بحسب البيئة والتجربة الدينية التي خاضها والفهم الذي يمتلكه

والألفاظ التي يعبر عنها تصل إلى حد التقاطع أحياناً من حيث الظاهر، لكنها من حيث المضمون متفقة.

6. نظام الحقائق: يعتقد التعدديون أن الحقائق متقاربة، ومن شدة تقاربها نجدها تتمثل أحياناً في نسيج متداخل يضفي عليها صفة الضبابية، وهي ليست واضحة وضوح الشمس مثلما يدعي كل فريق، إنما هي مزيج من تراكم مجموعة من الحقائق واحدة فوق الأخرى، حتى تصل إلى درجة خفائها داخل منظومة الحق نفسه، وهذا الخفاء هو الذي جعل الكثيرين من البشر يسعون إلى البحث عن الحقيقة المحضة، وقد ضرب أصحاب التعدد مثالاً على ذلك وهو معنى الصراط المستقيم الذي ورد في القرآن الكريم، إذ نجد عدة مواضع ذكر فيها هذا الصراط بشكل نكرة والمتعلق بهداية الأنبياء، مثل قوله تعالى: «إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم»، وقوله تعالى: «ويهديك صراطاً مستقيماً»، وقوله تعالى: «اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم» عند الحديث عن نبي الله إبراهيم، وهذا يشير إلى أن نبي الله إبراهيم قد هُدي إلى إحدى الصراطات المستقيمة؛ ومن ثَمَّ لا يوجد طريق واحد للوصول إلى الحقيقة المطلقة، بل هناك طرق عديدة ومتكثرة للوصول إلى الحقيقة.

7. التنوع والتكثر القيمي: في هذا المبنى يكون التركيز على مسألة القيم الأخلاقية، ومن المتعارف عليه أن نظام القيم يُشكل كثرة واقعية وأصيلة، إذ من غير الممكن وصف مجتمع معين بقيمة خُلقية واحدة يمكن تطبيقها على الجميع، فتحلي بعض أفراد المجتمع بمجموعة من القيم قد تختلف عند تحليها من لدُن أفراد آخرين من المجتمع نفسه بحسب الظرف البيئي الذي تعيشه كل مجموعة، سواء من حيث المكان والزمان أو الظروف المحيطة بهم، وعند تزاحم بعض القيم العليا نضطر إلى تقديم إحداهما على الأخرى بحسب الظرف، فمثلاً مبدأ الحرية ومبدأ العدالة نجد من غير الممكن بصورة واقعية أن يحوز مجتمع معين هذين المبدأين بصورة متساوية تماماً، فلا بد من تقديم أحدهما على الآخر بحسب الظرف المحيط، وهذا التزاحم في مسألة القيم في الواقع الاجتماعي يمكن تطبيقه أيضاً على نطاق الإنسان الفرد، فبعض القيم الأخلاقية مثل حُسن الظن قد تكون محمودة في ظرف معين، لكنها قد لا تكون كذلك في ظرف مغاير؛ ومن ثَمَّ نجد أن القيم الأخلاقية على الرغم من ادعاء الكثير من مُنظّري الأخلاق على كونها ذات أُسس ثابتة ومطلقة، نجد أنها قابلة للتغيير عند تطبيقها على أرض الواقع، والحال نفسه يسري على الأحكام الشرعية التي تدّعي الثبات، نجد أنها قد تتغير بحسب الظرف المحيط من باب نفي الضرر أو قواعد التزاحم أو الحرج وما شاكلها، وهذا كله يشير إلى فكرة التعددية وعدم الإبقاء على حالة واحدة.

التعددية الدينية عند جون هيك:

يُعد جون هيك المؤسس الفعلي لنظرية التعددية الدينية، وقد نشر كتابه المعنون "فلسفة الدين" سنة 1963 وتطرق فيه لأول مرة عن موضوع التعددية الدينية، إذ يشير فيه إلى أن الديانات بوصفها مناهج وأنظمة التي رسمت تعاليمها العقدية والأخلاقية حدودها، كان سبب نشوئها لأن الحقيقة الدينية تطلّبت هذا الأمر، وهذا التطور كان أمراً لا مفر منه

تاريخياً حينما كانت وسائل التواصل بين المجموعات الثقافية المتنوعة غير متطورة، وحينما أصبح العالم اليوم عبارة عن وحدة تواصلية انتقلنا إلى وضع جديد، فنجد الفكرة الدينية فيه من الممكن أن تتجاوز تلك الحدود التاريخية والثقافية، وأن تلك الفكرة الدينية يجب تعبئتها فيما أسماه بـ"اللاهوتية العولمية" بحسب ما طرحه في مؤلف لاحق له، وأننا يجب أن نكون مهيئين للاستجابة فيما يخص الوضع الجديد من خلال عمل بعيد المدى يسعى إلى تأسيس لاهوتية عولمية إنسانية، وهذه اللاهوتية الجديدة ستكون منسجمة مع تواصل الكيان وتجدده لتعدد الديانات بوصفها أشكالاً واقعية للحياة الدينية، وإن لم توجد إمكانية لوجود دين عالمي، فمن الممكن وضع مناهج معينة للوصول إلى لاهوتية عولمية، وتُعد هذه المسألة من أساسيات نشوء نظرية التعددية الدينية في الوقت المعاصر[29].

ويعتقد هيك بأن الدين يعبر عن انعكاسات بشرية حيال حقيقة متعالية (الله)، ولكونه عمل إنساني؛ لذلك نجد العنصر البشري متواجد فيه بشكل مستمر، ولو ذهبنا لمراجعة تاريخ اليهودية والمسيحية سنجد أن صورة إله اليهود قد تغيرت عبر الزمن من كونه إلهٍ قاسٍ يخص جماعة محددة، يفرض أوامره على اليهود المتعلقة بإبادة شعب فلسطين، وتحوله إلى إلهٍ للجميع في زمن اليهودية المعاصرة، كما نجد أن صورة الإله في العالم المسيحي ولمدة طويلة يمثل الوجود المخيف الذي يعمل على إرسال الناس إلى جهنم، وكانوا يتوقعون في أن يكونوا عرضة للمحاسبة والعقاب من لدُن المسيح الذي كان يُصور على أنه مخيف أيضاً قبل أن يحاسبهم الله، وقد كان سبب إيمانهم بالمسيح نتيجة خوفهم منه، وكانوا يعتقدون أن المصائب التي تحلّ عليهم سببها معاصي الإنسان فتنزل عليهم العقوبات الإلهية، ولكون حياتهم لم تكن مستقرة؛ كانوا يعتقدون أن الإله غاضب عليهم، لذلك عمدوا إلى تعليق الآمال على شفاعة القديسين والسيدة مريم العذراء لطلب الرحمة والعفو، وبمرور الزمن وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر بدأت ترتسم معالم الحب الإلهي على صورة السيد المسيح، ودخلت إلى ذهن الناس، فهل معنى هذا أن حقيقة الله قد تغيرت عبر الزمن أم أن تصوراتنا الذهنية هي من تغيرت؟ وبالتأكيد فإن الإجابة تكمن في أن تصوراتنا الذهنية هي من تغيرت؛ لذلك نجد أن حاجزاً من التصورات البشرية المتنوعة بيننا وبين الله، وأن معرفتنا بالله تكون من خلال هذه التصورات المتغيرة التي صنعها ذهن الإنسان، ومن ثَمَّ تتم عبادة الله عن طريق تلك التصورات الذهنية، تلك التصورات التي تأثرت بأفكارنا وأحكامنا المُسبقة وببيئتنا الثقافية بطريقة لا مهرب منها؛ ومن ثَمَّ لن تكون الاختلافات مقتصرة بين الديانات فقط، إنما ستكون موجودة أيضاً في دائرة الدين الواحد، ولو تمكنا من معرفة ما يجول في أذهان البشر من تصورات بشأن الله؛ لوجدنا تنوعات واختلافات كثيرة بهذا الشأن[30].

إن ظهور التعددية الدينية عند جون هيك لم يكن على شكل دفعة واحدة، إنما على مراحل تدريجية، كذلك لم يكن منبثقاً من لا شيء، بل كان نتاج مراحل سابقة أدت إلى ظهور نظريته في التعددية الدينية، وكانت مراحل ظهور تلك النظرية عنده على النحو الآتي[31]:

1. مرحلة التعددية الدينية المعيارية: ويتمثل في دعوة أفراد الديانة المسيحية بأن يكون منهجهم في التعامل مع بقية أفراد الديانات الأخرى مبنياً على التسامح، وهو منهج

أخلاقي يشتمل على احترام عقيدة الآخر، وهو ما يُبعد سِمة التكبّر والغطرسة عن أفراد الديانة التي تعتقد أنها الوحيدة التي تمتلك الحقّانية المطلقة والنجاة لأفرادها، وهذا الأمر لاقى ترحيباً من المجتمع المسيحي.

2. مرحلة التعددية الدينية الخلاصية: وهذه المرحلة مرتبطة بموضوع الخلاص والنجاة في الآخرة، وهنا يرى هيك أن بإمكان أي شخص أن يحوز على الخلاص والنجاة في الآخرة مهما كان انتماءه الديني، شريطة انتقال تفكيره من مركزية الذات إلى مركزية الحقيقة، وأن يمارس التعاليم الدينية التي يؤمن بها، وبعبارة أخرى إن أي شخص يعمل جاهداً للوصول إلى الحق المطلق ويؤدي بعض التعاليم الدينية فإنه سوف ينال الخلاص، وفي هذه المرحلة نلاحظ وجود تطور عن الرؤية الشمولية التي جعلت من المقياس المسيحي معياراً في نيل الخلاص، في حين أن المعيار هنا يكمن في التمركز حول الحقيقة، وهنا اختلفت وجهات النظر تجاه رؤية هيك الحالية.

3. مرحلة التعددية الدينية المعرفية: وفي هذه المرحلة يُصرح هيك بأن جميع الديانات تمتلك قدراً من الحقيقة المطلقة، وأن الانتماء لأية ديانة سيكون بمنزلة وسيلة للخلاص والنجاة، وأن مفهوم الحق الأعلى واحد غير أن معناه مختلف لدى البشر؛ نتيجة تعدد التجليات والتمظهرات بحسب تعدد الثقافات والحضارات، وللتجارب الدينية دور كبير في فهم تلك الحقيقة المطلقة.

بعدها بدأ هيك بالدخول إلى صلب نظريته من خلال طرحه لمسألة التحول من محورية الذات إلى محورية الحقيقة ونلاحظ هنا استعمال هيك لمصطلح الذات بدلاً من مصطلح الدين؛ نتيجة تأثره بولفريد كانتويل سميث، إذ لم يكن الأخير يرى أن مصطلح "الدين" لم يعُد صالحاً لاستيعاب الظواهر الدينية المتجددة؛ ومن ثَمَّ قام بإبداله بمصطلح "الإيمان"، ومصطلح "التقاليد المتراكمة"، ويرى هيك بأن الإيمان يمثل حالة وجدانية تتكون في نفس الإنسان نتيجةً لتجربته الروحية في استجابته للحقيقة الإلهية المطلقة، وهنا يُعبّر هيك عن الإيمان بممارسة التحرر الإدراكي، وتتراوح استجابة البشر تجاه تلك الحالة ما بين استجابة سلبية منغلقة ومنطوية على الوعي النفسي إلى استجابة إيجابية منفتحة حيال الوجود الإلهي؛ ليرتقوا بها ويتحول بشكل تدريجي إلى ما يسمى بـ"النجاة والخلاص"، وبحسب تسمية هيك في إحدى مؤلفاته "تجاوز النفس الراديكالي" في مختلف أشكاله، وهذا التحول يحدث للإنسان بشكل عملي وعلى وتيرة واحدة، ولا يوجد فرق جوهري بين فرد وآخر ضمن السياقات الدينية المتنوعة، ومن ثَمَّ أراد هيك أن يؤكد بأن طريق الخلاص والنجاة ليست واحدة أُحادية، بل متعددة بتعدد التعاليم والتقاليد التي يمارس المرء من خلالها استجابته للحقيقة الإلهية المطلقة[32].

لقد حاول هيك الابتعاد عن النصوص المقدسة الموجودة في الكثير من الديانات، والتي تمنح الأحقيّة المطلقة لديانة معينة على حساب بقية الديانات، وتوجه صوب فكرة الإله، وجعلها الفكرة المحورية للخلاص والنجاة، وحاول عندها الاستفادة من الفلسفة الكانطية التي تُميّز بين الشيء في ذاته، والشيء كما يبدو لنا، وبدأ هيك بتطبيق تلك النظرة الكانطية على طرحه لفكرة التعددية الدينية، وفضّل استعمال كلمة "الحقيقة" بدلاً عن "الإله"، فعمد

إلى التفرقة بين الحقيقة كما هي في ذاتها، والحقيقة كما تبدو للإنسان من أصحاب الثقافات المختلفة، موضحاً أن الخطأ الشائع الذي وقعت فيه البشرية هو اعتقادهم أن الإله الذي يعرفونه من خلال رؤيتهم الخاصة بثقافتهم وتقاليدهم مثل "كريشنا" أو "يهوه" أو "الآب والابن وروح القدس" أو "الله" وغيرها كثير، يمثل الحقيقة العليا أو الإله المطلق، فيعتقدون أنه المحور الذي من خلاله يتم الخلاص والنجاة، وواقع الأمر ليس هكذا؛ لأن ما يطلقونه على إلههم يمثل صوراً ذهنية للحقيقة العليا المطلقة، فلذلك تكون تلك الحقيقة هي المحور والمركز[33].

والمفهوم الجديد بحسب هيك يتلخص في أن ثمرة الديانات لا تكمن في المعتقدات الخاصة التي تختلف بين ديانة وأخرى، وإنما الثمرة تكمن فيما تشترك به تلك الديانات والمتمثل بالارتقاء بالسلوك الإنساني، فهي ثمار روحية وليست معرفية، وبذلك تكون فكرة الخلاص إنسانية وليست إلهية، وفكرة عالمية غير مختصة بديانة محددة، والخلاص بهذه الصورة يكون متساوقاً مع المفهوم الفلسفي للدين بوصفه وضعاً إنسانياً، كذلك يتساوق مع الأصول الفلسفية للحداثة المتمثلة بأنسنة المفاهيم والمعاني[34].

وقد عمد هيك إلى حل إشكالية الخلاص الموجودة في الديانات الكبرى عن طريق الآتي[35]:

1. رفض حصرية الخلاص بأي ديانة، ولا سيما المسيحية من خلال نفي تفوق أية ديانة على غيرها، وهذا يستدعي مراجعة شاملة للعقائد المرتبطة بمسألة الخلاص في كل ديانة.

2. العمل على إعادة تعريف مفهوم الخلاص بشكل ينسجم مع نظرية التعددية الدينية، ويكون الخلاص بمنزلة الصفة المشتركة بين الديانات الكبرى التي تتحقق بنسب متساوية بين التقاليد الدينية الكبرى المعروفة كاليهودية والمسيحية والإسلام والهندوسية والبوذية.

ونجد أن هيك قد حاول إخراج مفهوم الخلاص من كونه يمثل إيماناً بمجموعة من المعتقدات الغيبية الخاصة ضمن إطار ديانة معينة إلى كونه مفهوماً عملياً سلوكياً يتجلى فيما يسميه بـ"ثمار الإيمان"، ويمكن تحققه في أية ديانة كانت، مع قطع النظر عن تفاصيل الاعتقاد المعتمدة، ويضرب هيك على ذلك مثالاً، فيصرح بأننا لو فهمنا الخلاص كما هو مذكور في المسيحية على أنه مغفرة من الله وقبوله لنا نتيجة إيماننا بموت السيد المسيح على الصليب، حينها ستصبح فكرة الخلاص فكرة مسيحية خاصة لا علاقة لها بالمجالات الإنسانية الأوسع، في حين أننا إذا قمنا بتعريف الخلاص من حيث كونه تحول إنساني حقيقي، وتحول تدريجي من التمركز الذاتي الغريزي مع جميع الشرور البشرية التي تفيض منها إلى التمحور الجذري حول الله والذي يتجلى في ثمار الروح؛ سنجد أن هذا التعريف سيجعل من الخلاص حقيقة تأخذ مكانها داخل جميع الديانات العالمية وبشكل متساو تقريباً، بمعنى أن هذه الرؤية ستنقل مفهوم الخلاص من كونه مجرد اعتقاد بحقائق لاهوتية، إلى كونه عبارة عن حقائق ملموسة ومُعاشة في الحياة الإنسانية، وعندها سوف لا يقتصر مفهوم الخلاص بوصفه حُكماً إلهياً منقوشاً في السماء، ولا يعود كونه مجرد تطلع مستقبلي لما وراء هذه الحياة كالرغبة في دخول الجنة، ليتحول إلى تحول أخلاقي يُغير من مسار الحياة البشرية، ويؤسس لواقع إنساني تسوده قيم التسامح والعدل والمحبة، وبهذه الطريقة نقل هيك فكرة الخلاص من فضائها العقائدي إلى فضائها الإنساني[36].

يعتقد جون هيك من خلال طرحه لنظرية التعددية الدينية أنه قام باكتشاف مجال ديني جديد، ومن خلال هذا المجال سوف تنتفي الصراعات الدينية، وتنمحي التفوقات الدينية التي تدّعيها الديانات، وكان يدعو إلى ثورة كوبرنيكية في مجال الديانات تشبه ثورة كوبرنيكوس في الفلك، ومن أوجه الشبه بين تلك الثورتين، أن الكنيسة قد رفضت سابقاً الاكتشافات العلمية التي أدلى بها كل من غاليلو وكوبرنيكوس التي صرحت بمركزية الشمس وعدم مركزية الأرض، وفي يومنا هذا مطلوب من الكنيسة عدم تمركزها في مسألة التفكير الديني على أحقيّة الديانة المسيحية فقط، بل أن تتوسع تلك الأحقيّة لتشمل جميع الديانات، ويكون المركز هو الإله (الحقيقة المطلقة)، وسعى هيك إلى محاولة عقلنة العقائد المسحية؛ لتكون أكثر مقبولية للإنسان المعاصر والمجتمع الحديث[37].

وسبق أن ذكرنا أن هيك قد تأثر في مسألة بنائه للجانب المعرفي لنظريته في التعددية الدينية بالنموذج المعرفي الكانطي الذي ميّز بين الشيء في ذاته والشيء كما يبدو لنا، وبحسب كانط فإن المعرفة مرتبطة بالتجربة، ولا سبيل للوصول إلى الحقيقة الكامنة في الأشياء والتي لا يمكن للتجربة الحسية التعرف عليها، وبما أن فكرة وجود الله لا يمكن التحقق منها لا في مجال التجربة ولا في مجال التأمل العقلي؛ فقد قام بترحيلها إلى مجال العقل العملي وعدّها ضرورة أخلاقية يفرضها القانون الأخلاقي نفسه، وفي هذه النقطة اختلف هيك عن كانط، إذ نجد أن الله عند هيك لا يمثل ضرورة أخلاقية فقط، بل يمثل حقيقة وجودية واقعية قابلة للإدراك والاختبار، ومن ثَمَّ فإن موضوع التجربة المعرفية التي حصرها كانط بالتجربة الحسية قد توسعت عند هيك، وعمد هيك إلى تصنيف التجربة الإنسانية إلى تجربة اجتماعية، وتجربة طبيعية، وتجربة روحية، والأخيرة هي المُعبّرة عن التجربة الإنسانية مع الحقيقة الإلهية[38].

ويعتقد هيك أن الثورة الكوبرنيكية في علم الفلك، فضلاً عن الثورة الكانطية ليست ممكنة التطبيق فقط في لاهوتية الأديان، بل هي ضرورية، ولا سيما في فهم طبيعة علاقة الدين بالإله، إذ يرى هيك أن غالبية البشر لا يزالون يفكرون بعقليتهم البطليموسية عند رؤيتهم للنجاة والخلاص، إذ كان بطليموس يعتقد أن الأرض تمثل محور النظام الشمسي وجميع الأجرام السماوية تدور حولها، والحال نفسه حينما نطبقه على اعتقاد أغلب البشر حينما يظنون أن دينهم الذي ينتمون إليه يمثل محور عالم الديانات، ويضرب مثالاً على هذا الأمر المقولة المسيحية التي تفيد بأن لا نجاة خارج المسيحية تمثل مصداقاً للاهوت البطليموسي؛ لذلك يتطلب الأمر في أن يكون الإله هو المحور، وبقية الديانات تدور حوله[39].

والتباين الموجود بين الديانات ــ من وجهة نظر هيك ــ راجع إلى اختلاف الرؤية نحو المعبود؛ نتيجة اتصال كل ديانة بالحقيقة من جانب معين، لذلك يرى هيك أنه من الضروري العمل على إحداث تغييرات جذرية في نظام الوعي الديني يمكن أن تصل في درجة عمقها إلى أن تزعزع العديد من الثوابت اللاهوتية، وتكون بحاجة إلى فهم جديد للكثير من مفردات الإيمان والدين بالشكل الذي يدعم الفرضية التي تُصرح بأن ديانات العالم الكبرى ما هي إلا استجابات مختلفة لحقيقة إلهية واحدة، والاختلاف الموجود هو

اختلاف ظرفي ناتج عن ظروف اللغة والثقافة والعادات داخل التكوين الحضاري الذي يحوي كل ديانة، وأن دعوة هيك للقبول بالآخر، واحتواء ديانات العالم تحت غطاء التعددية الدينية؛ كان من أجل ضمان التعايش السلمي بين جميع المكونات الدينية في المجتمع الواحد، وهي دعوة تمثل الاعتراف بوجود التنوع الديني والمذهبي المتمثل بتكتلات مختلفة الأفكار والاعتقادات، وفي الوقت نفسه دعوة للتعاطي مع هذا الاختلاف من دون إقصاء للآخر والحكم عليه بالكفر وما شاكل ذلك، والقبول بالآخر بوصفه مصدراً للإثراء والتنوع، مع كل ما تحمله الفرق الدينية من بعض الآراء التي قد تخالف العقل والإنسانية؛ لأنه من الصعوبة التنازل عن المعتقد بسهولة، لذلك تكون التعددية الدينية هي الدواء الناجع الذي يكفل للجميع الحرية في عبادة ربهم، واختيار من يمثلهم بحرية[40].

لقد قام هيك بجعل الحق مُشاعاً في كل الديانات، وعدّ الوحي الركيزة الأساسية للديانات، والمتمثل بالتجربة الدينية أو التجربة الباطنية الشخصية التي بإمكان أي شخص أن يمر بها بعد توافر شروط معينة، وعندها سيكون الانفتاح على الحقيقة موحداً لدى الجميع، والاختلاف سوف يكمن في تفسير تلك التجارب، ونتيجة لذلك نجد اختلافاً بين الديانات، وقد ميّز هيك بين الدين والشريعة، إذ ليس من الضروري مراجعة السلوك العملي ونقده لكل مؤمن، فكل سلوك يكفي في إشباع الحاجة إلى الشريعة، ومن ثَمَّ ستكون المعرفة الدينية نسبية، وليس بالضرورة أن تتم المطابقة بين الواقع ومقولات كل ديانة، وعندها ستنتفي مسألة الصراع بحجة الأحقيّة؛ بعد أن فقد ذلك الصراع موضوعه الأساسي من خلال فقدانه الحقيقة المطلقة عند كل فرد[41].

يصرح جون هيك بأن التجربة الدينية المسيحية لا تُعبّر عن طرح تخيلي فقط، إنما تمثل نداء لبيك لله تعالى، وفي الوقت الذي كانت فيه الديانات الكبرى في العالم تمثل صوراً من تقرير عن تجربة الله، اتضح وجود نوع من التشابه من الثمرات المعنوية والأخلاقية في حياة الإنسان، ولا مانع من القول بكونها تلبي نداء الله أيضاً، ومن ثَمَّ يعترف هيك بوجود حقيقة إلهية غائية كامنة وراء مجموعة المفاهيم البشرية تكون خاضعة للتجربة في صور متفاوتة، وتتكشف في الحياة ضمن أطار السُنن الدينية الكبرى، وتكون لها ردود أفعال مختلفة، وعلى الرغم من أن الديانات تمثل كلّيات ذات أبعاد متكثرة على صُعد التجربة الدينية والنصوص المقدسة والاعتقادات وأساليب العيش والمناسك وغيرها، غير أنها جميعاً تنسجم مع تأثيرات الذات الغائية في حياة الفرد وتتشكّل بموجبها[42].

إن الديانات العالمية ــ بحسب رؤية هيك ــ تمثل استجابات متنوعة لذات الحقيقة المحتجبة بذاتها عن الإدراك البشري، لكنها مع ذلك حاضرة في وجودنا ونتفاعل معها، ونتعرف إليها من خلال نُظم دينية متعددة، يشتمل كل منها على نصوص مقدسة وتجارب روحية ومعتقدات ونظماً وتعابير ثقافية وعادات وأشكالاً فنية تمثل بمجملها كيانات دينية تاريخية ذات طبيعة معقدة وشاملة؛ لتعبر عن استجابات بشرية مختلفة للحقيقة الإلهية المطلقة، ويتم مناقشة هذه المفاهيم من منطلق ملازمة التعددية الدينية للتعددية المجتمعية، فضلاً عن أن الاستجابة للدين والإذعان لأدلته والانجذاب لحقائقه متعدد أيضاً؛ لأنه يحدث نتيجة نمو نفسي وعبر مراحل تشكّل الذات ضمن محيطها ومجتمعها[43].

ويخلص جون هيك إلى تعريف التعددية الدينية بكونها تمثل وجهة النظر التي تشير إلى أن الديانات العالمية عبارة عن أفهام وتصورات متنوعة عن الحقيقة الإلهية، واستجابات متنوعة للحقيقة النهائية المطلقة من خلال ثقافات الناس المختلفة، وتحول الوجود الإنساني من محورية الذات إلى محورية الحقيقة الذي يحدث في جميع الديانات بنسب متساوية[44].

عبد الكريم سروش:

يُعد حسين نصر أول مفكر إسلامي تطرق إلى موضوع التعددية الدينية من خلال مشروعه "الحكمة الخالدة"، ويرى بأن جميع الديانات إلهية، وهي مختلفة من حيث الظاهر ورؤيتها للحقيقة المطلقة، لكنها في جوهرها واحدة تسعى إلى الوصول إلى الحقيقة المطلقة المتمثلة بالله، وقد أكد على مسألة التنوع الديني، ورأى في هذا التنوع تعزيزاً لوجود المجتمعات البشرية المتنوعة، وكذلك صرح بأن جميع الديانات تسعى إلى تعليم أفرادها التسامح الديني واحترام عقيدة الآخر حتى لو فهم بعض أفراد الديانات النصوص الدينية على غير هذا المنوال[45].

أما عبد الكريم سروش فيُعد من أبرز الشخصيات الفكرية الإسلامية التي تطرقت لنظرية التعددية الدينية من خلال مؤلفاته العديدة، وواجهت كتابته الكثير من الأخذ والرد، ما بين نقدٍ بنّاء، وآخر هدّام، وكانت أكثر الانتقادات الموجه له من لدُن شخصيات التيار المحافظ في إيران، فضلاً عن الإسلاميين المتشددين في العالم العربي، وقد حاول سروش في كتابة الموسوم بـ"الصراطات المستقيمة" التأصيل لمفهوم التعددية الدينية بمعناها الشامل عن طريق التأكيد على أن التعددية الاجتماعية والسياسية لا تنفصلان عن التعددية الدينية، إذ أن التعددية ليست وسيلة أو أداة نستعملها في مسائل ونعطلها في أخرى، إنما هي ركيزة ومبدأ أساسي تنبني عليه حياة البشر[46].

يعتقد سروش أن أول من رسخ مفهوم التعددية هو الله، حينما قام بإرسال أنبياء متعددين إلى شعوب مختلفة، وقد دعا في مؤلفاته إلى الحوار بين الديانات، والابتعاد عن الانحصارية التي يقوم بممارستها الكثير من أفراد الديانات المختلفة، الذين يدّعون الحقّانيّة للديانة التي ينتمون إليها، ويتهمون كل من يخالفهم بالرأي والمعتقد بالضلال، وعليهم أن يُدركوا أن طرق الوصول إلى الله بقدر عدد الخلائق، فالله واحد لكن الخلق كثيرون، والسر وراء التنوع في إيماننا بالله دليل على أن الله لم يُقصر عباده للوصول إليه من خلال طريق واحدة؛ لأن الاقتصار على طريق واحدة يمثل نقصاناً في الذات الإلهية نتيجة تحيزها إلى جهة دينية واحدة، في حين أن الواقع يشير إلى أن الله موجود في كل مكان، حتى داخل الذوات الإنسانية[47].

لقد عمل سروش على استلهام المنهج الكانطي في التمييز معرفياً بين الشيء في ذاته والشيء كما يبدو لنا، فتوجه للتمييز بين الدين والمعرفة الدينية، وسروش يؤمن بنسبية المعرفة لا بنسبية الحقيقة، والمعرفة الدينية لديه تتصف بالنسبية والتحول؛ لكونها مرتبطة بألوان المعرفة البشرية ومتأثرة فيها، وينطلق سروش من مبدأ بشرية المعرفة الدينية بوصفها بناءً إنسانياً يتطور بحسب الفهم المتغير للعالم، فالدين لا يصيبه التغيير في حد ذاته، في حين أن الفهم البشري للدين والمعرفة المرتبطة به يتغيران؛ لأن المعرفة الدينية

ليست إلهية من منطلق الموضوعات الدينية التي تعالجها، ومن أجل ذلك يعمد سروش إلى كشف أوليات الفهم الديني، وتبيان أوصاف المعرفة الدينية فيما يخص سائر أنواع المعرفة الإنسانية، وتحديد العلاقات القائمة بين المعرفة الدينية والمعارف الإنسانية، ومن ثَمَّ إيضاح سر تحول المعرفة الدينية وثباتها تاريخياً[48].

إن سروش يؤكد في كتاباته على مبدأ بشرية المعرفة الدينية ــ كما أسلفنا ذلك ــ بوصفها مبدأً من شأنه وضع حد للتصادم الموهوم بين المعرفة الدينية وبقية المعارف الفلسفية والعلمية، والمعارف الأخيرة تمثل أسئلة ترتبط بالأفق التاريخي للمعرفة الدينية والإنسان تشتمل على إجابات لها، وكلما تنوعت الأسئلة وازداد عمقها؛ عندها ستزداد الحاجة إلى إجابات أكثر عمقاً، ومن ثَمَّ فإن النص الديني يشتمل على ما هو مطلق ثابت يمكننا أن نصفه بأنه يمثل الدين في ذاته، وهناك ما هو اجتماعي قابل للتغيير لا يمكن إلحاقه بالدين في ذاته، وبتعبير آخر لا يمكننا تأييده؛ لأن طبيعته النسبية المتغيرة ستعمل على فرض ذاتها على أرض الواقع بقوة قانون التطور والاجتماع، ومن ثَمَّ يعتقد سروش أن حدوث أي تغيير في معارف العصر الفلسفية والعلمية سيُلقي بظلاله على المعرفة الدينية، ما يعني أن إثبات المصدر الإلهي للدين في ذاته لا يمثل إنكاراً للحضور الاجتماعي في البُنية الدينية الكلية، ولكون الإنسان يمثل موضوع الدين ومجاله؛ سنجد أن المطلق الديني سوف يُعبّر عن ذاته عن طريق التمثّل في الواقع الاجتماعي[49].

فالنص بحسب سروش يخضع لآليات اشتغال اللغة من حيث كونه يمثل بناءً لغوياً حاملاً لمضمون معرفي وتكليفي، وبذلك فهو كائن تاريخي اجتماعي يخضع بدوره لضرورات التطور والتعدد، ومن ثَمَّ فإن الفهم الناتج عن ملامسة النص سوف يتأثر ببصمة الذات مرتين، التأثير الأول سيكون عند إدراكه، أي عند تلقيه داخل الذات، والثاني يكون عند التعبير عنه، أي عند تعديه خارج الذات، فالشيء في ذاته لا يكون نفسه عند دخوله وخروجه من الذات؛ لأنه سينتج شيئاً من منظور الذات المدركة، وبسبب المثيرات الكلية والخصائص التي تنتجها تلك الذوات، يمكننا القول بوجود ذات كلية لها قوام اجتماعي تمارس بطريقتها عمليتي الإدراك والتعبير، وهنا سنلاحظ أن التصريح بإكمال الدين وتمامية الشريعة سوف يستتبع تساؤلاً بشأن الكيفية التي تستوعب فيها نصوص محددة كالنصوص القرآنية والأحاديث الشريفة وقائع متغيرة وغير منتهية، وعندها ستكون الإجابة كامنة في طبيعة النصوص نفسها بوصفها متون تحمل قيماً وقوانين تستطيع استيعاب الجزئيات وفضاء التشريع المتغير، بالشكل الذي يسمح للنص بالامتداد الذي يواكب الاجتماع البشري[50].

نستنتج مما سبق أن سروش يعتقد بأن التعددية الدينية ناشئة عن أن فهمنا للنصوص الدينية مختلف ومتعدد، وهذا التنوع لا يقبل أن يتم اختزاله إلى فهم واحد، ولا يقتصر هذا الفهم على التعدد فقط، بل يتعداه فيكون سيّالاً، والسر يكمن في كون النص صامت في قبالة سعينا المستمر لفهمه، وسبب تعدد فهمنا للنص؛ ناتج عن كون التفسير يأتي من فضاء معرفي من خارج الدين، ويُعد هذا الفضاء متغيراً وسيّالاً، ومن جهة أخرى يصرح سروش بأن الكلام الإلهي ذو بطون، فإذا استطعنا الكشف عن الطبقة الأولى في معنى النص؛

سوف تظهر لنا طبقة أخرى من المعنى، ومن جملة الأسباب الكامنة في هذه الظاهرة، هو أن الواقع يشتمل على التعدد في باطنه، وبما أن الكلام يتحدث عن هذا الواقع؛ فمن ثَمَّ سيكون متعدداً بالتبعية، وأن هذه الظاهرة تمنح الديمومة للنص الديني، وتوجد روايات عديدة تشير إلى هذا المعنى من حيث أن للقرآن سبعاً وسبعين بطناً، وبما أن كل ديانة تكون بحاجة ماسّة إلى تفسير نصوصها؛ ما يؤدي إلى أن المعرفة الدينية ليست سوى مجموعة من التفاسير الصائبة والسقيمة، ومن ثَمَّ فنحن نبحر في بحر من التفاسير والأفهام المتنوعة للنص الديني، والدليل على ذلك تعدد المذاهب والفرق الدينية داخل كل ديانة، وفي الوقت نفسه يشير سروش أيضاً إلى أن التعدد في الديانات ناشئ أيضاً عن التعدد في تفسير التجارب الدينية، التي تمثل المواجهة مع الأمر المطلق المتعال، وهذه المواجهة تتجلّى في صور عدة، منها على شكل رؤيا أو سماع صوت معين أو اتصال النفس بعظمة عالم الوجود أو رؤية ملامح وألوان؛ ومن ثَمَّ ستتعدد تفاسير التجربة الدينية بتعدد صورها[51].

يعتقد سروش أن لكل إنسان تجربته الدينية الخاصة به، والتي يمكن أن تكون في جوهرها ديناً؛ لأن جميع التجارب من وجهة نظره تمثل وحياً، وكل ما في الأمر هو أن الوحي ذو مراتب عليا وأخرى دُنيا، ويقترن بالعصمة أحياناً، وقد لا يقترن بها في أحيان أخرى، وهناك ما يختص بالديانات وما يختص بالإنسان من الأنبياء والعُرفاء والشعراء، فجميعها تمثل تجارب دينية تكون بحاجة إلى تفسير، وواقع الحال يشير إلى عدم وجود تجربة خالصة، وفي هذا المضمار يرى ولتر ستيس[52]، أن البوذيين على الرغم من كونهم لا يتعاطون مع مسألة الألوهية لا سلباً ولا إيجاباً، غير أنهم يعيشون التجربة الإلهية في قلوبهم، بمعنى أنهم لا يملكون نظرية عن الله، لكنهم مع ذلك يمتلكون تجربة عن الله، وتُعد هذه نقطة مهمة لا بد من الالتفات إليها في أجواء التجربة الدينية، ومن ثَمَّ فإن صحة كل ديانة يمكن أن تُقاس بمدى صحة التجربة الدينية الخاصة بالفرد بحسب وجهة نظر سروش، وأن تكثّر التجارب البشرية يدلل على التعددية الدينية، ونلاحظ أن سروش قد ساوى بين تجارب الأنبياء والعرفاء والشعراء، كذلك ساوى بين الديانة البوذية وغيرها؛ بُغية الدعوة إلى التعايش والتسامح بين مختلف الديانات، لأن كل ديانة تحمل في باطنها جانب من الحقيقة[53].

على ضوء ما تقدم نصل إلى نتيجة مؤداها، أن التعددية الدينية عند سروش تستند إلى دعامتين، الأولى تتمثل بالتنوع في الفهم الديني من لدُن الناس، والثانية في التفسيرات المختلفة للتجربة الدينية، والتعددية تمثل نتاجاً من نتاجات الحضارة الحالية، وتبحث في مجالين، الأول يتعلق بمجال الديانات والثقافات، والثاني يتعلق بالمجال الاجتماعي؛ ومن ثَمَّ توجد تعددية دينية وتعددية اجتماعية، وتوجد رابطة وثيقة فيما بين التعدديتين[54].

لقد حاول سروش في كتاباته التمييز بين الذاتي والعرضي في الشريعة، فالذاتي يمثل الثابت، والعرضي يمثل المتغير، ويرى أن الإعدادات اللغوية والحضارية والثقافية أسهمت في تشكيل أعراض الدين الإسلامي كما هو مفهوم لدينا اليوم، ولكونها تمثل إعدادات متغيرة ناتجة عن ثقافات متنوعة؛ فهي إذن ليست من ذاتيات الدين، ويعتقد أن لعنصري

الزمان والمكان أثر في تشكّل الدين، وأن نزول القرآن على مراحل عنده دليل على ما يعتقد به، فالتدريج يمثل التناسب مع ممارسات البشر وسلوكياتهم، وإجابة للمسائل والأحداث الواقعية، ومن ثَمَّ فإن لهذه الوقائع نصيب في تشكيل الدين الإسلامي[55].

انتقد سروش أصحاب النظرة الانحصارية للدين، وصرّح بأن أولئك يعتقدون أن لهم وحدهم حظوة خاصة عند الله، ويرون أنهم وحدهم من يمتلك الحقيقة المطلقة، وأن النجاة والخلاص من نصيبهم وحدهم، ومن ثَمَّ فإن العالم سيتحول على وفق هذه النظرة إلى جحيم، ويرى سروش أنه لا بد من التمييز بين الحق في ذاته، وبين الحق في تجلياته، والسر في تنوع الديانات؛ هو ظهور الحق في تجلياته، وهو ما يمثل دليلاً على حقانيتها جميعاً، ما يصل بنا إلى كثرة أصيلة في دائرة الديانات، فالتجليات كثيرة، لكن الإله واحد، كذلك يعتقد سروش بضرورة التعددية الدينية؛ لأننا لا نمتلك الحق الخالص ولا الباطل الخالص، وهذا الكلام غير معني بأصل الديانات، بل في فهم الناس لها، وما نراه من صراع ديني سواء في دائرة الديانة الواحدة أو خارجها يؤكد هذا الأمر، وأغلب أفراد الديانات يرفض تغيير عقيدته؛ لأنه يرى فيها كل أشكال الجمال والصدق والحق، وفي الوقت نفسه يرى في العقائد الأخرى كل أشكال القبح، وهذا الأمر غير صحيح، ويعتقد سروش أيضاً أن الدين حينما يدخل التاريخ البشري فإنه سوف يرتدي حُلّة تاريخية بشرية، ويتعرض لتصرفات أذهان الناس وسلوكياتهم، ومن ثَمَّ ستغطي الحُجب صفاء الحقائق الدينية؛ فيزداد أو ينقص فيه، وما يتبقى فهو الحد الأدنى من الهداية المعروضة على الناس، وأخيراً يرى سروش أن الله حينما خلق البشر وقذف بهم في أجواء الفكر، فإنه عمد إلى خلق لغات وعوالم متنوعة، وجعل الأدلة والعلل مختلفة، ووضع في طريق العقل الكثير من المنعطفات والعُقد الفكرية، وبعث العديد من الأنبياء والرسل، وأصدر نداءات ذات ألون مختلفة ومتعددة للناس، وجعلهم قبائل وشعوباً؛ لكي يتحركوا لا من موقع التنازع والتكبر، بل من موقع التواضع والتعارف، والذين يطالبون بتسوية التعرجات المذهبية والفكرية بين البشر عليهم الانتباه؛ لئلا يقودهم هذا المسلك إلى السقوط في منزلقات التعارض مع المشيئة الربانية ومواجهة الإرادة الإلهية في هذا الشأن، والمتمثلة بضرورة التعدد[56].

الخاتمة:

في ختام هذا البحث سنحاول قطف ثمار بعض ما سوف نجنيه مما ورد فيه من طروحات ورؤى بشأن التعددية الدينية، ومنها أن التعددية غير مقتصرة على المجال الديني، فوجودها متجذّر في مجالات عدة، وكل مجال له مدلوله الخاص به، قد يقترب أو يختلف عن بقية المجالات، لكنها جميعاً تتفق أنها مُصطفة في جانب قبالة الوحدة والوحدانية والثبات والإطلاق، وتتسم بالمرونة والتغير والنسبية بحسب الظرف الزماني والمكاني.

إن ما فهمناه من التجوال بين طيّات الكتب والبحوث المعنية بموضوع التعددية الدينية وجود بعض الاختلافات في التعبير عن معناها، فمنهم من يزاوج بين التعددية الدينية والتسامح الديني والتعايش السلمي، ومنهم من يميز بينهما، ويعد التعددية الدينية محسوبة على مجال فلسفة الدين، في حين أن التسامح الديني والتعايش السلمي محسوب على مجال

التعددية الاجتماعية، لكن من ينظر إلى غاية كل من الموضوعين المذكورين سيجد أن غايتهما واحدة، وهو الوصول إلى حالة من العيش المشترك والانسجام واحترام الآخر، وعدم فرض المعتقد الديني الذي نؤمن به عليه، وأن يكون النقاش فيما بيننا مبنياً على الأدلة والبرهان العقلي، وليس على العاطفة الدينية؛ لكي نتجنب بذلك حدوث أية مشاحنات أو نزاعات دينية تودي بحدوث قطيعة في النسيج المجتمعي.

ووجدنا أن البعض الآخر من يرى أن التعددية الدينية تعبر عن تعددية مظاهر الدين على الرغم من أن جوهر الدين واحد، في حين نجد فريقاً آخر يرى أن التعددية كامنة في الدين نفسه، والفرق بين الفريقين هو أن الحقيقة واحدة عند الأول والاختلاف في فهمها؛ ما أدى إلى تعددها، في حين أن الفريق الثاني يرى أن الحقيقة متكثرة وهي موزعة بين الديانات، وكل ديانة تشتمل على جزء من الحقيقة، وهناك فريق رابع يستعمل التعددية الدينية للتعبير عن منح المعذورية لمن يخالفنا بالعقيدة، وعدم الاقتصار في مسألة الخلاص على الديانة التي ننتمي إليها، والنتيجة هي أن جميع الفرق المذكورة تسعى إلى إيجاد حالة من التآلف والانسجام بين جميع الطوائف الدينية، والتغاضي عن المسائل الخلافية؛ للعيش بسلام، مع وجود اختلاف بين تلك الفرق من حيث الاحتفاظ بخصوصية العقيدة أو الانصهار في ديانة عالمية واحدة أو الاجتماع حول المشتركات الكلية وترك الجزئيات التي تودي إلى التفرقة والقتال والصراع.

إن بداية نشوء جذور نظرية التعددية الدينية كان نتيجة حاجة مُلحّة إبّان الصراعات الدموية التي كانت تعيشها أوربا في العصور الوسطى؛ بسبب الاختلافات الدينية، وبدأت النظرة العقلانية لرجال الفكر تسمو على النظرة الضيقة لبعض المحسوبين على المذاهب المسيحية، ومن ثَمَّ بدأ التوجه لمنح الفرد كامل الصلاحية في اعتناق الديانة التي يرغب بها، وجعلها مسألة شخصية، فالدين واحد، لكن المظاهر العبادية متنوعة، وظهرت حينها الليبرالية الدينية التي تزعمها شلاير ماخر الذي صرح بأن الدين يشتمل على لب وقشور، وأن اللب يمثل انسلاخ الذات وعروجها نحو الله، أما القشور فهي تمثل الأحكام والتعليمات والطقوس، وفائدة القشور يتمثل في المحافظة على اللب؛ ومن ثَمَّ يتوجب علينا المحافظة على جوهر الدين، أما الأحكام والتعليمات والطقوس، وبقية التصورات الموجودة في الديانات المختلفة فليس من الضرورة الأخذ بها بصورة قطعية مطلقة، وليس من حق أية ديانة احتكار الحقيقة وادعائها لها وحدها دون سائر الديانات، وفي كل ديانة طريقة معينة للوصول إلى الله تختلف عن بقية الديانات، لكن الهدف واحد.

إن من أهم الركائز التي ترتكز عليها التعددية الدينية هو الاختلاف الناشئ عن فهم النصوص الدينية، فلكل مجتمع ثقافته وتقاليده وظرفه الزماني والمكاني التي تؤثر برمّتها في أفهام أفراده، فالمرء الذي يعيش في زمن النبي المؤسس لديانة ما يختلف فهمه عمّن يعيش في زمننا الحالي؛ نتيجة تغير مُجريات الحياة من تطور تقني وفكري، فضلاً عن المراحل الزمنية التي مرّ بها ذلك النص الديني، وما تداخل معه من شروح وتأويلات أثرت في فهم الأجيال اللاحقة لمعناه الحقيقي، كذلك نجد أن التجربة الدينية تمثل المرتكز الرئيس الثاني لأصحاب التعددية الدينية، وبما أن التجربة الدينية تُعد تجربة ذاتية؛ فبالتأكيد

سينبثق عن ذلك اختلاف وتنوع بين أصحاب التجارب الدينية؛ نتيجة تعاطيهم مع تلك التجربة، وتعبيرهم عن حقيقتها للآخرين بحسب ما يمتلكونه من فهم لها، ولغة للتعبير عنها.

يرى المنادون بالتعددية الدينية أنه ليس من المعقول أن يخلق الله هذا الكم الهائل من البشرية، وتكون النجاة من نصيب فئة واحدة قليلة العدد، فأية حكمة تكمن من وراء هذا الخلق، على الرغم من أن صفات الله تتجلى في الرحمة والعدل والحكمة والهداية والرأفة وما شاكلها، فأية رحمة وعدل إلهي، وأية حكمة ربّانية تقتضي أن يكون مصير مليارات البشر إلى جهنم، وما ذنب من ولد في بيئة تعتنق ديانة معينة، ونشأ وشبّ عليها، ولم يكن له ذنب في اعتناقه لها، وتشرّب مفاهيمها، واعتقد أن ما يؤمن به هو الحق والصواب والآخر على خطأ، وهل مفروض على جميع البشر التقصي عن الحقيقة في جميع الديانات، وهل سيكفي عمره في الوصول إليها، وهل ما وصلنا من معتقدات دينية نؤمن بها جميعها على صواب ولم تتخللها بعض البدع والأساطير، سواء عن قصد أو من غير قصد، سواء أكان ذلك قد أثر في كتابة النص الديني أو في فهم النص الديني؟

نستنتج من طروحات هيك المتعلقة بالتعددية الدينية، أنه يحاول تشبيه ما قام به من طروحات فكرية في هذا الصدد تشبه إلى حدٍ ما الثورة الكوبرنيكية التي قلبت المفهوم البطليموسي الذي كان مترسخاً في أذهان الناس وتأبى الكنيسة تغييره، والمتمثل بمركزية الأرض ودوران الكواكب حولها، إلى أن جاء كوبرنيكوس فأثبت مركزية الشمس ودوران الأرض حولها وبقية الكواكب التابعة للمجموعة الشمسية، وهنا يعمل هيك على تغيير المفاهيم الراسخة في أذهان الناس والمتعلقة بمركزية العقيدة التي يؤمنون بها، إلى مركزية الله العامل المشترك بين جميع الديانات؛ لكي نتوحد من خلال جعله المحور لجميع الديانات.

أراد هيك غرس بذرة التقريب بين الطوائف الدينية من خلال تأويل الموضوعات العقدية بطريقة أخلاقية، ومحاولة إضفاء المسحة الإنسانية أكثر من السمة اللاهوتية عليها؛ لكي يستطيع بذلك سلخ مركزية الذات المتمثلة بدوران الإنسان المؤمن حول عقيدته، والتوجه نحو مركزية الحقيقة المتمثلة بالإله المطلق، وعدم احتكار الحقّانيّة من لدُن طرف ديني واحد، بل جعلها متوزعة على شكل نسب في جميع الديانات؛ من أجل أن يحظى الجميع بالخلاص والنجاة في الدار الآخرة، وبهذه الطريقة يتم سلب ميزة التفوق لإحدى الديانات على بقية نظيراتها، ويصبح الجميع سواسية، وبذلك تنتفي صفة التغطرس الديني، وتنمحي سمة الأحقاد الدينية، ونطوي صفحة على ساحة الصراعات والنزاعات الدينية؛ طالما أن الجميع يملك جزءاً من الحقيقة، وبإمكانه الحصول على النجاة في الحياة الأبدية، ومن حقه ممارسة الطقس العبادي الذي يرغب به من دون فرضه على الآخر، وفي الوقت نفسه احترام عقيدة الآخر وعدم الانتقاص منه.

وحين التحول إلى سروش نجده يميز بين الدين بوصفه حقيقة ثابتة، وبين المعرفة الدينية بوصفها نسبية متغيرة بتغير الظروف الزمانية والمكانية، فالدين مصدره الله، أما المعرفة الدينية فمصدرها الإنسان، وبالتأكيد يوجد اختلاف كبير بين البشر من حيث فهمهم للنص الديني بحسب ما يمتلكونه من مدركات عقلية وثقافة بيئية تمكنهم من فهم النص على

مستوى ذلك الإدراك والبيئة التي ينتمون إليها، ومن ثَمَّ سيكون نتاج المعرفة الدينية متغيراً وليس ثابتاً؛ مما سيكون سبباً مهماً في إنتاج طوائف دينية متعددة بتعدد ذلك الفهم للنص الديني، وأن النص الديني إذا تم وقفه على تفسير واحد في زمن معين؛ فإننا بذلك سعينا إلى إماتته، وعدم مواكبته للتطور المعرفي الحاصل عبر الزمن، ولذلك نجد أن النصوص القرآنية تتقبل أوجه تفسير عديدة ومتنوعة بمرور الزمن، وتتقبل التأويلات، وهذه تمنحها صفة الديمومة والخلود وعدم الجمود.

يتفق سروش مع هيك على أن التجربة الدينية تمثل مرتكزاً رئيساً من ركائز التعددية الدينية، فضلاً عن تنوع الأفهام تجاه تفسير النص الديني، وأن التجربة الدينية تمثل وحياً يُلهم المؤمن بالفيض الرباني، سواء عن طريق الإيحاء أو الإلهام أو الرؤيا أو الكشف أو سماع صوت، فيشعر عندها المؤمن بجذبة إلهية تقوده إلى عالم فسيح يتسامى عن محدودية العقائد اللاهوتية المنحصرة في ديانة معينة، فينطلق نحو الآخر ليعانقه ويتحاور معه من دون الخوض بجزئيات عقيدته، والتوحّد سوية نحو تلك الحقيقة المطلقة التي انجذبا نحوها سوية، على الرغم من تباين الانتماء الديني لكل واحد منهما، وأن تعدد التجارب الدينية يُضفي ميزة إيجابية لنظرية التعددية الدينية، ويدفع باتجاه مضاد للتوجهات الانحصارية التي ترى نفسها فوق الجميع، ووحدها من تمتلك الأحقية، وعن طريقها فقط سيكون الخلاص.

مصادر البحث ومراجعه:

1. بسام، جاد الله: فلسفة التعددية الدينية (دراسة كلامية من منظور قرآني)، ط1، دار النور المبين للنشر والتوزيع، الأردن، 2018م.

2. حب الله، حيدر: التعددية الدينية (نظرة في المذهب البلورالي)، ط1، الغدير للدراسات والنشر، لبنان، 2001م.

3. السيد علي، غيضان: فلسفة الدين (المصطلح من الإرهاصات إلى التكوين العلمي الراهن)، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، لبنان، 2019م.

4. الصفّار، حسن: التعددية الدينية قراءة في المعنى، ط1، السعودية، 2015م.

5. طه، أنيس مالك: اتجاهات التعددية الدينية والموقف الإسلامي منها، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد / كلية أصول الدين، 2000م.

6. العبيدي، حسام علي: التعددية الدينية عند عبد الكريم سروش، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة / كلية الآداب، 2014م.

7. عمارة، محمد: الإسلام والتعددية (الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة)، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2008م.

8. عين اليقين، محمد: تفسير آيات التعددية الدينية / البحث عن كتاب The Study Quran A New Translation and Commentary لسيد حسين نصر (دراسة موضوعية تحليلية)، رسالة مقدمة لنيل

دراجة الجامعة الأولى في علم أصول الدين والإنسانية / قسم التفسير والحديث، كلية أصول الدين والإنسانية / جامعة والي سونجو الإسلامية الحكومية سمارنج، 2018م.

9. الغرباوي، ماجد: إشكاليات التجديد، ط3، مؤسسة المثقف العربي، أستراليا، 2016م.

10. قانصو، وجيه: التعددية الدينية في فلسفة جون هيك (المرتكزات المعرفية واللاهوتية)، ط1، الدار العربية للعلوم – ناشرون، لبنان، 2007م.

11. مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 7، المركز الديمقراطي العربية للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2018م.

12. مجلة العميد، المجلد الرابع، العدد 12، العتبة العباسية المقدسة، 2015م.

13. مجلة المنهج، العدد العاشر، مؤسسة مُثل الثقافية، 2015م.

14. مجلة دراسات (علوم الشريعة والقانون)، المجلد 45، العدد 4، الملحق 3، الجامعة الأردنية، 2018م.

15. مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العددان (20 – 21)، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م.

16. مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العددان (31 – 32)، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2006م.

17. مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العددان (33 – 34)، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2007م.

18. مجموعة مؤلفين: نافذة على سروش (آراء وتحليلات على هامش بعض أفكار ونظريات الدكتور عبد الكريم سروش)، مدونة سفيد: http://safeed.blogspot.com/.

19. موقع الضياء: https://www.aldhiaa.com.

20. موقع حفريات: https://www.hafryat.com.

21. موقع مجلة الرشاد: https://alrashad.org/

22. موقع مصرس: https://www.masress.com.

23. موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، https://www.mominoun.com/.

24. موقع نصوص معاصرة: https://nosos.net/.

25. الوائلي، عامر عبد زيد وآخرون: التعددية الدينية وآلية الحوار، ط1، منشورات ابن النديم، الجزائر، 2015م.

26. ياسين، عبد الجواد: الدين والتدين (التشريع والنص والاجتماع)، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2014م.

27. يوسفيان، حسن: دراسات في علم الكلام الجديد، ترجمة: حسن محمد زراقط، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، لبنان، 2016م.

الهوامش

[1] جون هروود هيك (John Harwood Hick) (1922 – 2012) م: فيلسوف ولاهوتي إنكليزي وأستاذ جامعي متخصص في فلسفة الدين، له إسهامات عديدة في مجال علم اللاهوت مثل موضوعات الكرستولوجيا والثيوديسيا والإسكاتولوجيا، وأيضاً له إسهامات في مجال فلسفة الدين مثل التعددية الدينية وأبستمولوجيا الدين، من أعماله: فلسفة الدين، أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، الموت والحياة الأبدية.

[2] عبد الكريم سروش (1945 –)م: اسمه الحقيقي حسين حاجي فرج الدباغ، مفكر وأستاذ جامعي إيراني، كان متخصصاً في الصيدلة ثم تحول إلى فلسفة العلم في أثناء دراسته العليا في بريطانيا، لديه تقارب مع أفكار علي شريعتي ومرتضى مطهري، أفكاره التي طرحها في مؤلفات أثارت موجات متباينة من القبول والرفض في الوسط الإيراني وخارجه وأبرزها المتمثلة بنظرية التعددية الدينية، من أعماله: بسط التجربة النبوية، القبض والبسط في الشريعة، الصراطات المستقيمة.

[3] الفوالجة، سمر: التعددية الدينية في المنظور الغربي، 2020/5/5، على موقع مجلة الرشاد: https://alrashad.org/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%AF%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A-1/

[4] الساعدي، رحيم محمد: التعددية الدينية والسياسية وتنمية بناء النسيج الاجتماعي، بحث منشور ضمن كتاب التعددية الدينية وآلية الحوار، ط1، منشورات ابن النديم، الجزائر، 2015م، ص (352 – 353).

[5] . لغنهاوزن، محمد: مقاربات في مفاهيم التعددية والنبوة والهداية، بحث منشور ضمن مجلة قضايا إسلامية معاصرة، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، العددان (33 – 34)، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2007م، ص 255.

[6] سروش، عبد الكريم: الصراطات المستقيمة (التعددية الدينية بين النفي والإثبات)، بحث ضمن مجلة قضايا إسلامية معاصرة، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، العددان (20 – 21)، الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م، ص 133.

[7] حب الله، حيدر: التعددية الدينية (نظرة في المذهب البلورالي)، ط1، الغدير للدراسات والنشر، لبنان، 2001م، ص (20 – 21).

[8] يُنظر: عمارة، محمد: الإسلام والتعددية (الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة)، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2008م، ص (7 – 26).

[9] بلخيري، أكرم: التعددية الدينية كحل للتعايش السلمي، بحث منشور ضمن مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 7، المركز الديمقراطي العربية للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2018م، ص (69 – 70).

[10] يُنظر: مجموعة مؤلفين: نافذة على سروش (آراء وتحليلات على هامش بعض أفكار ونظريات الدكتور عبد الكريم سروش)، ص (139 – 143)، مدونة سفيد: http://safeed.blogspot.com/.

[11] قانصو، وجيه: التعددية الدينية في فلسفة جون هيك (المرتكزات المعرفية واللاهوتية)، ط1، الدار العربية للعلوم – ناشرون، لبنان، 2007م، ص (11 – 12).

[12] العبيدي، حسام علي: التعددية الدينية عند عبد الكريم سروش، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة / كلية الآداب، 2014م، ص 7.

[13] الصفّار، حسن: التعددية الدينية قراءة في المعنى، ط1، السعودية، 2015م، ص 22.

[14] فريدريك دانيال إرنست شلايرماخر (Friedrich Schleiermacher)، (1768 – 1834)م: فيلسوف ولاهوتي وأستاذ جامعي ألماني، تزعم حركة الليبرالية المسيحية، وله دور بارز في مسألة الهرمنيوطيقا، من أعماله: الإيمان المسيحي على وفق مبادئ الكنيسة الإنجيلية، الأخلاق الفلسفية، محاضرات في علم الجمال.

[15] طيرشي، كمال: فلسفة التعددية الدينية، بحث منشور ضمن ملف بحثي بعنوان (التعددية الدينية ومنطق التعايش أو في الحقيقة المفتوحة)، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2015/6/23، ص 6.

[16] رام موهن راي (Rammohan Ray) (1772 – 1833)م: فيلسوف ومترجم هندي، مؤسس حركة "براهما ساماج" التي تعني "المجتمع الإلهي".

[17] سري راماكريشنا (Sri Ramakrishna) (1834 – 1886)م: متصوف بنغالي، له مريدون وأتباع كان يعتقد الكثير منهم أنه يمثل تجسيداً للإله.

[18] حسين نصر (1933 –)م: مفكر وأستاذ جامعي إيراني، له إسهامات في مجال مقارنة الأديان والتصوف وفلسفة العلم، من أعماله: الصوفية بين الأمس واليوم، محمد الإنسان الربّاني، قلب الإسلام.

[19] طه، أنيس مالك: اتجاهات التعددية الدينية والموقف الإسلامي منها، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد / كلية أصول الدين، 2000م، ص (14 – 18).

[20] إرنست ترولتش (Ernst Troeltsch) (1865 – 1923)م: لاهوتي وعالم اجتماع ألماني.

[21] ويليام إرنست هوكينغ (William Ernest Hocking) (1873 – 1966)م: فيلسوف وأستاذ جامعي أميركي.

[22] أرنولد جوزف توينبي (Arnold J. Toynbee) (1889 – 1975)م: مؤرخ بريطاني، يُعد من أشهر مؤرخي الحضارات، من أعماله: موسوعة دراسة للتاريخ.

[23] ويلفرد كانتويل سميث (Wilfred Cantwell Smith) (1916 – 2000)م: هو لاهوتي وأستاذ جامعي كندي، من أعماله: الإسلام في العصر الحديث، نماذج الإيمان حول العالم، الإيمان والاعتقاد والفرق بينهما.

[24] طه، أنيس مالك: اتجاهات التعددية الدينية والموقف الإسلامي منها، ص (11 – 12).

[25] حب الله، حيدر: التعددية الدينية (نظرة في المذهب البلورالي)، (29 – 30).

[26] يوسفيان، حسن: دراسات في علم الكلام الجديد، ترجمة: حسن محمد زراقط، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، لبنان، 2016م، ص (336 – 342).

[27] حب الله، حيدر: التعددية الدينية (نظرة في المذهب البلورالي)، ص (38 – 42).

[28] يُنظر: المصدر نفسه، ص (79 – 100).

[29] طه، أنيس مالك: اتجاهات التعددية الدينية والموقف الإسلامي منها، ص 74.

[30] هيك، جون: المصابيح متعددة لكن النور واحد، بحث منشور ضمن مجلة قضايا إسلامية معاصرة، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، العددان (31 – 32)، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2006م، ص (184 – 185).

[31] رضائي، محمد: التعددية الدينية (نقد وحل)، ترجمة: علي آل دهر الجزائري، 2015/7/26م، موقع نصوص معاصرة: https://nosos.net/%d8%a7%d9%84%d8%aa%d8%b9%d8%af%d8%af%d9%8a%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%af%d9%8a%d9%86%d9%8a%d8%a9/.

[32] طه، أنيس مالك: اتجاهات التعددية الدينية والموقف الإسلامي منها، ص 76.

[33] المصدر نفسه، ص (78 – 79).

[34] بسام، جاد الله: فلسفة التعددية الدينية (دراسة كلامية من منظور قرآني)، ط1، دار النور المبين للنشر والتوزيع، الأردن، 2018م، ص 133.

[35] قانصو، وجيه: التعددية الدينية في فلسفة جون هيك، ص (125 – 126).

[36] المصدر نفسه، ص 127.

[37] صالح، جاد الله بسام: وجود الله وصفاته بين القرآن وفلسفة التعددية الدينية (دراسة تفسيرية نقدية)، بحث منشور ضمن مجلة دراسات (علوم الشريعة والقانون)، المجلد 45، العدد 4، الملحق 3، الجامعة الأردنية، 2018م، ص 155.

[38] العبيدي، حسام علي: التعددية الدينية (المفهوم والاتجاهات)، بحث منشور ضمن مجلة العميد، المجلد الرابع، العدد 12، العتبة العباسية المقدسة، 2015م، ص 111.

[39] طه، أنيس مالك: اتجاهات التعددية الدينية والموقف الإسلامي منها، ص (81 – 82).

[40] بلخيري، أكرم: التعددية الدينية كحل للتعايش السلمي، بحث منشور ضمن مجلة العلوم الاجتماعية، ص (71 – 72).

[41] الغرباوي، ماجد: إشكاليات التجديد، ط3، مؤسسة المثقف العربي، أستراليا، 2016م، ص (125 – 126).

[42] الكلباياكاني، علي رباني: تعدد الأديان وطريق الحل، ص 3، بحث منشور على موقع الضياء: https://www.aldhiaa.com/arabic/show_articles.php?articles_id=403&link_articl es=alkalam_almoaser/altaadodie_aldinie/tadd_aladyan.

[43] الموسوي، علاء هاشم: التعددية الدينية (المدخل إلى الحوار بين الحضارات)، بحث منشور ضمن مجلة المنهج، العدد العاشر، مؤسسة مُثل الثقافية، 2015م، ص 91.

[44] السيد علي، غيضان: فلسفة الدين (المصطلح من الإرهاصات إلى التكوين العلمي الراهن)، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، لبنان، 2019م، ص 152.

[45] عين اليقين، محمد: تفسير آيات التعددية الدينية / البحث عن كتاب The Study Quran A New Translation and Commentary لسيد حسين نصر (دراسة موضوعية تحليلية)، رسالة مقدمة لنيل دراجة الجامعة الأولى في علم أصول الدين والإنسانية / قسم التفسير والحديث، كلية أصول الدين والإنسانية / جامعة والي سونجو الإسلامية الحكومية سمارنج، 2018م، ص (93 – 95).

[46] أنور، إسلام: التعددية الدينية ونسبية الإيمان، 2016/7/20م، موقع مصرس: https://www.masress.com/elbadil/980461.

[47] بلخيري، أكرم: التعددية الدينية كحل للتعايش السلمي، بحث منشور ضمن مجلة العلوم الاجتماعية، ص 74.

[48] إدالكوس، عبد الله: بين الدين والمعرفة الدينية (دراسة لأطروحة عبد الكريم سروش)، 2014/4/18م، موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث: https://www.mominoun.com/articles/%D8%A8%D9%8A%D9%86-

%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-
%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-
%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A9-
%D9%84%D8%A3%D8%B7%D8%B1%D9%88%D8%AD%D8%A9-
%D8%B9%D8%A8%D8%AF-
%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85-
.%D8%B3%D8%B1%D9%88%D8%B4-585

[49] المصدر نفسه.

[50] ياسين، عبد الجواد: الدين والتدين (التشريع والنص والاجتماع)، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2014م، ص (9 – 10).

[51] سالم، أحمد: أصول التعددية الدينية عند عبد الكريم سروش، 2018/4/2م، موقع حفريات: https://www.hafryat.com/ar/blog/%D8%A3%D8%B5%D9%88%D9%84-
%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%AF%D8%AF%D9%8A%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-
%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-
%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85-
.%D8%B3%D8%B1%D9%88%D8%B4

[52] ولتر ستيس (Walter Stace) (1886 – 1967)م: فيلسوف وأستاذ جامعي إنكليزي، له إسهامات في فلسفة الدين والتصوف، من أعماله: تاريخ الفلسفة اليونانية، الدين والعقل الحديث، التصوف والفلسفة.

[53] بلخيري، أكرم: التعددية الدينية كحل للتعايش السلمي، بحث منشور ضمن مجلة العلوم الاجتماعية، ص 73.

[54] سروش، عبد الكريم: الصراطات المستقيمة (قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية)، ترجمة: أحمد القبانجي، منشورات الجمل، بغداد، 2009م، ص 12.

[55] عبد الحسين، أحمد: طواف حول كعبة المعنى، بحث منشور ضمن مجلة قضايا إسلامية معاصرة، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، العددان (35 – 36)، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2008م، ص (301 – 302).

[56] سالم، أحمد: أصول التعددية الدينية عند عبد الكريم سروش، 2018/4/2م، موقع حفريات.